جامعة آل البيت

Al al-Bayt University

صفات الإنسان الجبلية وأثرها في تكليفه في ضوء القرآن الكريم

Human Characters And Its Impact On His Assignment In The Light Of The Holy Quran

إعداد

HANNE NUR GULSEVER SUDAN

هناء نور كول سور سودان

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد محمود محمد الدومي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين

كلية الدراسات العليا

جامعة آل البيت

تفويض

جامعة آل البيت

كلية الدراسات العليا

أنا HANNE NUR GULSEVER SUDAN

هناء نور كول سور سودان

أفوض جامعة آل البيت بتزويد نُسخ من رسالتي، للمكتبات، أو المؤسسات، أو الهيئات، أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع: ..... التاريخ: **16/08/2023**

جامعة آل البيت

كلية الدراسات العليا

نموذج إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وانظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير والدكتوراه.

انا HANNE NUR GULSEVER SUDAN الرقم الجامعي: 2120105009

هناء نور كول سور سودان

تخصص: أصول الدين كلية: الشريعة

أعلنُ بأني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وانظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

صفات الإنسان الجبلية وأثرها في تكليفه في ضوء القرآن الكريم

Human Characters and Its Impact on His Assignment in The Light of The Holy Quran

جامعة آل البيت

Al al-Bayt University

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أُعلن بأن رسالتي/ اطروحتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فأنني اتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرّج مني بعد صدورها دون أن يكون لي الحق في التظلم أو الأعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

التوقيع .....

التاريخ: **16/08/2023**

قرار اللجنة Committee Decision

نوقشت هذه الرسالة "صفات الإنسان الجبلية وأثرها في تكليفه في ضوء القرآن الكريم"
وأُجيزت بتاريخ 16/08/2023

لجنة المناقشة	التوقيع
أ.د. محمد محمود محمد الدومي (مشرف رئيسي) أستاذ التفسير قسم أصول الدين- جامعة آل البيت	.....
أ.د. عماد عبد الكريم الخصاونة (عضو لجنة) أستاذ التفسير قسم أصول الدين - جامعة آل البيت	.....
أ.د. بهجت عبد الرزاق الحباشنة (عضو لجنة) أستاذ العقيدة الإسلامية قسم أصول الدين- جامعة آل البيت	.....
أ.د. محمد أحمد الجمل (عضو لجنة خارجي) أستاذ التفسير قسم أصول الدين- جامعة اليرموك	.....

الإهداء

إلى والدتي الكريمة التي ربتني على التربية الإسلامية وحفزتني على تعلم العلوم الشرعية منذ صغري باذلة بذلك حنانها لبنتها الصغيرة،

وإلى والدي العزيز الذي كان خير مثال لي في الخلق وإدارة الحياة والتقدم إلى الأمام بإرشاداته القيمة والدائمة،

وإلى والد زوجي المرحوم الذي ضحى بحياته في سبيل خدمة دين ربه وإحيائه في قلوب عباده فسار إلى ربه بقلبه النقي،

وإلى زوجي الفاضل الذي كان خير معين ومرشد لي في سلوك طريق العلم الشرعي، والذي لم يأل جهدا في تقديم العون والدعم لي في حياتي العلمية،

وإلى أخواتي التي خففن عني حمل مسؤولياتي، ووقفن معي دائما في المصاعب.

الشكر

أولا أشكر الله تعالى على توفيقه لإعداد هذه الرسالة في سبيل فهم كتابه الكريم، إنه الموفق للرشاد.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى مشرفي الأستاذ الدكتور محمد محمود محمد الدومي، الذي حفزني على إتمام هذه الرسالة، أشكره على معاملته وإرشاداته الطيبة فترة إعداد هذه الرسالة، فجزاه الله خيرا على كل ما قدم.

وإلى الدكاترة الفضلاء في كلية الشريعة جامعة آل البيت، الذين انتفعت بعلمهم وإرشاداتهم القيمة فترة دراستي في جامعة آل البيت، وأخص بالذكر الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة، والدكتور عماد عبد الكريم الخصاونة، والدكتور بكر مصطفى بني أرشيد حفظهم الله ونفع الله بهم.

فهرس المحتويات

قرار اللجنة Committee Decision ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

الإهداء ..... ث

الشكر ..... ج

فهرس المحتويات ..... ح

Abstract (English) ..... د

Abstract (Arabic) ..... ذ

مقدمة ١

الفصل الأول مفهوم الصفات الجبلية وطبيعة الإنسان والصفات الفطرية ٧

المبحث الأول مفهوم جبلة الإنسان والصفات الجبلية ٧

المطلب الأول معنى الجبلة والصفات الجبلية ٧

المطلب الثاني تناول القرآن الكريم لمفهوم الصفات الجبلية الخاصة ٩

المطلب الثالث المصطلحات المقاربة للجبلة: النفس، الشاكلة، الفطرة، الخُلق ١٥

المطلب الرابع أقوال العلماء في وجود الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان ٢٥

المبحث الثاني طبيعة الإنسان وخلقته والصفات الفطرية العامة ٢٩

المطلب الأول طبيعة الإنسان الروحية والمادية ٢٩

المطلب الثاني خلقة الإنسان بين الخير والشر ٣١

المطلب الثالث الصفات الفطرية في النفس الإنسانية ٣٣

الفصل الثاني الصفات الجبلية والعوامل المؤثرة فيها وحكمة تفاوتها في الناس ٤٣

المبحث الأول الصفات الجبلية الخاصة وورودها في القرآن الكريم ٤٣

المطلب الأول التعريف بالصفات الجبلية الخاصة ٤٣

المطلب الثالث ماورد في القرآن الكريم من الصفات الجبلية الخاصة ٥١

المبحث الثاني العوامل المؤثرة في الصفات الفطرية والجبلية عند الإنسان..... ٦٢
المطلب الأول العوامل الداخلية..... ٦٢
المطلب الثاني العوامل الخارجية..... ٦٧
المبحث الثالث حكمة تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية وصفات الأنبياء الجبلية واصطفاؤهم من الله ٧٥
المطلب الأول حكمة تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية..... ٧٥
المطلب الثاني صفات الأنبياء الجبلية واصطفاؤهم من الله ٧٩
المطلب الثالث نماذج قرآنية من صفات الأنبياء الجبلية ٨١
الفصل الثالث تكليف الإنسان من ناحية صفاته الجبلية وعلاقته بالقضاء والقدر..... ٨٤
المبحث الأول أثر صفات الإنسان الجبلية في تكليفه وإمكانية تغير الصفات الجبلية..... ٨٤
المطلب الأول معنى التكليف وعلاقته بصفات الإنسان الجبلية..... ٨٤
المطلب الثاني موقف القرآن من تكليف الإنسان فيما يتعلق بجبلته..... ٨٦
المطلب الثالث الثواب والعقاب في الأوصاف الجبلية الموجودة عند الإنسان ٩٠
المطلب الرابع إمكانية تغير الصفات الجبلية في الإنسان وأقوال العلماء في ذلك ٩٣
المبحث الثاني علاقة القضاء والقدر بالصفات الجبلية وأثرها في الهداية والضلالة ٩٨
المطلب الأول معنى القضاء والقدر وموقف الإرادة الإنسانية منهما..... ٩٨
المطلب الثاني علاقة الصفات الجبلية بالقضاء والقدر والإرادة الإنسانية ١٠٢
المطلب الثالث أثر الصفات الجبلية في هداية الإنسان..... ١٠٣
المطلب الرابع نماذج من الشخصيات في القرآن الكريم وأثر جبلتهم هدايتهم أو ضلالتهم..... ١٠٦
الخاتمة: وتتناول أبرز النتائج وأهم التوصيات..... ١٠٨
المصادر والمراجع..... ١١٠

Human Characters And Its Impact On His Assignment In The Light Of The Holy Quran

A Master Thesis By

HANNE NUR GULSEVER SUDAN

Supervisor:

Dr. Mohammed Mahmoud Al Domi

Department of Foundations of Religion, Al al-Bayt University, 20٢٣

Abstract

The study dealt with the subject of the Human Characters And Its Impact On His Assignment In The Light Of The Holy Quran, The study aims to prove the existence of disparity between people in their Human Characters, through the verses and characters of the Qur'an, and the impact of this on man's obligation. The study concluded that a person is not forced to completely change his characteristics, but rather he must take care of them, and that this does not prejudice the justice of God Almighty, and he has a lot of wisdom in that, and he is part of it. Of human destiny.The study consisted of an introduction, three chapters and a conclusion. The first chapter dealt with the concept of special characteristics, the reality of human nature and creation, and general innate characteristics in the light of the Holy Qur'an. As for the second chapter, it dealt with the special qualities in detail and what was mentioned in the Holy Qur'an, and dealt with the factors affecting them, and the wisdom of their differences in people. The third chapter dealt with the influence of human characteristics in his task.

صفات الإنسان الجبلية وأثرها في تكليفه في ضوء القرآن الكريم

رسالة ماجستير قُدمت من قبل

هناء نور كول سور سودان

المشرف:

الأستاذ الدكتور محمد محمود محمد الدومي

قسم أصول الدين، جامعة آل البيت، ٢٠٢٣م

ملخص

تناولت الدراسة موضوع الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان في ضوء القرآن الكريم، وتهدف إلى إثبات وجود التفاوت بين الناس في صفاتهم الجبلية، من خلال الآيات والشخصيات القرآنية، وتأثير ذلك على تكليف الإنسان، وقد توصلت الدراسة إلى أن الإنسان ليس مكلفا بتغيير صفاته الجبلية كليا، وإنما عليه تربيتها، وأن هذا لا يخل بعدل الله تعالى، وله حكم كثيرة في ذلك وهي جزء من قدر الإنسان.

وقد تكونت الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة؛ تناول الفصل الأول مفهوم الصفات الجبلية الخاصة، وحقيقة طبيعة الإنسان وخلقته، والصفات الفطرية العامة في ضوء القرآن الكريم وأقوال العلماء.

وتناول الفصل الثاني الصفات الجبلية الخاصة بالتفصيل وما وردت منها في القرآن الكريم، وتناول العوامل المؤثرة فيها، وحكمة تفاوتها في الناس عموما، والأنبياء خصوصا، واصطفاؤهم من الله بذكر نماذج قرآنية من صفات الأنبياء الجبلية.

وتناول الفصل الثالث أثر صفات الإنسان الجبلية في تكليفه، والثواب والعقاب عليها، وعلاقتها بالقضاء والقدر، وإمكانية تغير الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان، وأثرها في الهداية والضلالة من خلال نماذج من الشخصيات في القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد حث القرآن الكريم الإنسان على التفكير في نفسه، وفي عجيب خلقه، وإلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها، وإن معرفة الإنسان لنفسه تؤدى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى؛ قال تعالى: **{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}** [سورة الذاريات/٢٠-٢١] وقال تعالى: **{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}** [سورة الروم/٨]. **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** [سورة فصلت/٥٣]. وفي هذا المعنى جاء في كلام الصالحين "من عرف نفسه، فقد عرف ربه".

وإذا نظرنا في نفس الإنسان نجد أن الله تعالى خلق الإنسان بفطرة نقية وبصفات فطرية خلقها الله فيه؛ كما قال تعالى **{لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}** [سورة التين /٤] وقال النبي ﷺ **(كل مولود يولد على الفطرة)**.[1] وأيضا خلق الله في الإنسان صفات فطرية قد تكون مذمومة إذا لم يهذب الإنسان تلك الصفات مثل قوله تعالى **{إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}** [سورة إبراهيم/٣٤] **{خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ}** [سورة الأنبياء/٣٧] وخلق الله في الإنسان شهوة المال وشهوة الجنس، فهذه الصفات الفطرية موجودة في جميع الناس على سواء.

لكن هناك صفات جبلية اختص بها بعض الناس دون بعض مثل الشجاعة والحلم والأناة، وبعض تلك الصفات مذمومة مثل الجبن والبخل وسرعة الغضب وغيره من الصفات، فهذه الصفات خلقها الله في بعض الناس دون بعض. وهو ما يسمى بالشاكلة كما ورد في قوله تعالى: **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/٨٤] فهل وجود هذه الصفات لها أثر في التكليف وهل الإنسان يثاب أو يعاقب على الصفات الجبلية الموجودة فيه، وهل تفاوت الناس في الصفات الجبلية يخل بعدل الله تعالى في خلقه وتكليفهم؟ وهل وجود تلك الصفات لها تأثير في هداية بعض الناس دون بعض.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث:٢٨٦٥.

وللإجابة على تلك الأسئلة من خلال القرآن الكريم وتوجيهاته وإيحاءاته فكرت أن أقوم بهذه الدراسة بعنوان **" صفات الإنسان الجبلية وأثرها في تكليفه في ضوء القرآن الكريم"** وسأقوم في هذه الدراسة أولاً بمناقشة الصفات الفطرية المطبوعة في النفس الإنسانية جميعا من خلال الآيات القرآنية، وقد تناول القرآن بالتفصيل تلك الصفات التي وضعت في النفس الإنسانية، والتي لم يصل علم النفس اليوم إلى بعضها إلا بعد عناء شديد من البحث والتحليل. ومن ثم ستناقش الدراسة وجود الصفات الجبلية التي خلقها الله في بعض الناس دون بعض، والتي تسمى بشاكلة الإنسان من خلال الآيات القرآنية، وعلاقة ذلك بعدل الله تعالى، وأثر ذلك على تكليف الإنسان، وهدايته وضلالته.

مشكلة الدراسة:

السؤال الرئيس هل يتفاوت الناس في صفاتهم الجبلية، وهل لذلك أثر على تكليف الإنسان وهدايته. ويتفرع عن ذلك عدة أسئلة:

- ما مفهوم الصفات الجبلية عند الإنسان وطبيعتها
- ما أنواع الصفات الجبلية وحكمة وجودها في الإنسان
- ما أثر الصفات الجبلية على تكليف الإنسان والثواب أو العقاب
- ما علاقة القضاء والقدر بتفاوت الناس في الصفات الجبلية؟ وهل له أثر في هداية الإنسان أو ضلالته.

أهداف الدراسة:

- بيان مفهوم الصفات الجبلية عند الإنسان وطبيعتها
- بيان أنواع الصفات الجبلية وحكمة وجودها في الإنسان
- أثر الصفات الجبلية على تكليف الإنسان والثواب أو العقاب
- بيان علاقة القضاء والقدر بتفاوت الناس في الصفات الجبلية، وأثره على هداية الإنسان أو ضلالته

منهج الدراسة

- المنهج الوصفي: وذلك بوصف الصفات الجبلية في الإنسان وأنواعها.

- المنهج التحليلي: وذلك بتتبع الصفات الجبلية عند الإنسان وبعض الشخصيات المذكورة في القرآن الكريم، وتحليلها من حيثية تكليف الإنسان.

الدراسات السابقة:

فهناك دراسات كثيرة تناولت موضوع الأخلاق والخلق عند المسلم والسلوك الإيماني أو الشخصية المؤمنة وغير ذلك مما في معناها وماهي الصفات التي تجب أن تكون عند الإنسان المسلم والمؤمن. لكن دراستي هذه ليست دراسة في علم الأخلاق أو الصفات التي يجب أن تكون في الإنسان المسلم، وإنما دراستي تتخصص في الصفات الجبلية التي جبل عليها بعض الناس واختص بها وهي ما تسمى بالشاكلة، وتناقش دراستي في أنه هل وجود بعض الصفات الجبلية عند بعض الناس يخل بعدل الله تعالى بين خلقه، وعلاقة تلك الصفات بتكليف الإنسان وهدايته، وذلك من خلال الآيات القرآنية ومن خلال نماذج الشخصيات المذكورة في القرآن الكريم.

١- هناك دراسات تناولت مواضيع قريبة من موضوع بحثي، ومن أهمها رسالة الماجستير التي قدمت في جامعة السلطان قابوس سنة ٢٠١٦، بعنوان **"الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم دراسة موضوعية"** للباحثة كوكب بنت عبد الله بن راشد الهاشمية. لقد تكونت هذه الدراسة من ثلاث فصول، الفصل الأول تناول تعريف الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم والفصل الثاني تناول خصائص الشخصية الإنسانية والفصل الثالث تناول تنوع الشخصية الإنسانية.

وتفترق دراستي عن هذه الدراسة بأن تلك الدراسة دراسة نفسية تربوية تناولت بالتفصيل موضوع الشخصية الإنسانية من الناحية النفسية والتربوية ولم تتناول وجود الصفات الجبلية التي اختص بها بعض الناس وأثر ذلك على تكليف الإنسان، وأما دراستي فليست دراسة نفسية تربوية فهي دراسة موضوعية في القرآن الكريم تبحث عن الصفات الجبلية التي خلقها الله في بعض الناس دون بعض، وهي شاكلته، وأثر وجود تلك الصفات على تكليف الإنسان وهدايته وعلاقة ذلك بعدل الله تعالى، وذلك من خلال الآيات القرآنية ومن خلال نماذج الشخصيات المذكورة في القرآن الكريم. فلم تتناول تلك الدراسة شيئا من ذلك.

٢- هناك دراسة أخرى تتعلق ببحثي وهي رسالة دكتوراة قدمت في جامعة أم درمان الإسلامية سنة ٢٠٠٩، بعنوان **"السلوك الإنساني بين الفطرة والمؤثرات في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية"** للباحث يوسف، عبد الوهاب عيسى. لقد تكونت هذه الدراسة من ثمانية فصول، الفصل الأول تناول تعريف الإنسان وسلوكه والفصل

الثاني تناول عناصر تكوين الإنسان والفصل الثالث تناول الفطرة وحقيقة طبيعتها، والفصل الرابع تناول أثر الفطرة على دوافع السلوك الإنساني والفصل الخامس الانفعالات وأثرها على سلوك الإنساني، والفصل السادس تناول عوامل ضوابط السلوك الإنساني والفصل السابع عوامل انحراف الفطرة الإنسانية وعواقبها، والفصل الثامن تناول نماذج السلوك في القرآن الكريم.

تفترق دراستي عن هذه الدراسة بأن تلك الدراسة تحدثت عن عناصر تكوين الإنسان، ومفهوم الفطرة عند بعض المذاهب وبعض الانفعالات التي تؤثر على السلوك الإنساني بالتفصيل، فهذا ليس موضوعنا الأساسي. فدراستي ليس موضوعها السلوك الإنساني، وإنما موضوع دراستي هي الصفات الفطرية والجبلية التي طبعت في الإنسان والتي تؤثر على السلوك. وقد تناولت دراستي الصفات الجبلية الموجودة في بعض الناس وإثبات وجود التنوع فيها وأثر ذلك على تكليف الإنسان وهدايته وعلاقة ذلك بعدل الله تعالى.

٣- هناك مقالات علمية نشرت في المجلات العلمية تناولت الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم ومن أهمها ما نشرت في مجلة التربية في جامعة الأزهر بعنوان **"الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم"** للباحث السبيعي علي بن مثيب بن دغيم، تتكون من مبحثين المبحث الأول الإنسان في القرآن الكريم والمبحث الثاني التربية القرآنية للإنسان، لكن تلك الدراسة -وغيرها مما تحمل نفس العنوان- لم تتناول جبلة الإنسان الخاصة وشاكلته وإنما تناولت طبيعة الإنسان بشكل عام، فهذا ليس موضوع دراستنا.

٤- هناك دراسات أخرى تناولت الصفات الفطرية عند الإنسان، ومن أهمها **"الصفات الفطرية في الإنسان من خلال قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم"** للباحثة فلوة بنت ناصر بن حمد الراشد، تكون هذا البحث من خمسة فصول؛ الفصل الأول صفات تتعلق بالحاجات الأولية، الفصل الثاني صفات تتعلق بالحياة النفسية، الفصل الثالث صفات نفسية اجتماعية، الفصل الرابع صفات تتعلق بالتكليف، الفصل الخامس آدم والشيطان.

وتفترق هذه الدراسة عن هذا البحث بأن هذا البحث مقتصر على الصفات الفطرية العامة ومحصور في قصة آدم فقط. لكن دراستي في الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان ولم تتطرق دراستي للصفات الفطرية العامة إلا لبيان الفرق بينها بين الصفات الجبلية. فموضوع بحثي الأساسي هو الصفات الجبلية التي يختص بها بعض الناس دون بعض وأثر ذلك على تكليفهم وهدايتهم أو ضلالتهم من خلال الآيات والنماذج القرآنية، ولم يتطرق ذلك البحث لشيء من ذلك.

خطة البحث:

الفصل الأول مفهوم الصفات الجبلية وطبيعة الإنسان والصفات الفطرية

المبحث الأول مفهوم جبلة الإنسان والصفات الجبلية الخاصة

المطلب الأول معنى الجبلة والصفات الجبلية

المطلب الثاني تناول القرآن الكريم لمفهوم صفات الإنسان الجبلية الخاصة

المطلب الثالث المصطلحات المقاربة للجبلة: الخُلق، النفس، الفطرة، الشاكلة

المطلب الرابع أقوال العلماء في وجود الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان

المبحث الثاني طبيعة الإنسان وخلقته والصفات الفطرية العامة

المطلب الأول طبيعة الإنسان الروحية والمادية

المطلب الثاني خلقة الإنسان بين الخير والشر

المطلب الثالث الصفات الفطرية في النفس الإنسانية

الفصل الثاني الصفات الجبلية والعوامل المؤثرة فيها وحكمة تفاوتها في الناس

المبحث الأول الصفات الجبلية الخاصة وورودها في القرآن الكريم

المطلب الأول التعريف بالصفات الجبلية الخاصة

المطلب الثاني ماورد في القرآن الكريم من الصفات الجبلية الخاصة

المبحث الثاني العوامل المؤثرة في الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان

المطلب الأول العوامل الداخلية

المطلب الثاني العوامل الخارجية

المبحث الثالث حكمة تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية وصفات الأنبياء الجبلية واصطفاؤهم من الله

المطلب الأول حكمة تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية

المطلب الثاني صفات الأنبياء الجبلية واصطفاؤهم من الله

المطلب الثالث نماذج قرآنية من صفات الأنبياء الجبلية

الفصل الثالث أثر صفات الإنسان الجبلية في تكليفه وعلاقته بالقضاء والقدر

المبحث الأول أثر صفات الإنسان الجبلية في تكليفه وإمكانية تغير الصفات الجبلية

المطلب الأول معنى التكليف وعلاقته بصفات الإنسان الجبلية

المطلب الثاني موقف القرآن من تكليف الإنسان فيما يتعلق بجبلته

المطلب الثالث الثواب والعقاب في الأوصاف الجبلية الموجودة عند الإنسان

المطلب الرابع إمكانية تغير الصفات الجبلية في الإنسان وأقوال العلماء في ذلك

المبحث الثاني علاقة القضاء والقدر بالصفات الجبلية وأثرها في الهداية والضلالة

المطلب الأول معنى القضاء والقدر وموقف الإرادة الإنسانية منهما

المطلب الثاني علاقة الصفات الجبلية بالقضاء والقدر والإرادة الإنسانية

المطلب الثالث أثر الصفات الجبلية في هداية الإنسان وضلالته

المطلب الرابع نماذج من الشخصيات في القرآن الكريم وأثر جبلتهم في الهداية والضلالة

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج الدراسة

الفصل الأول مفهوم الصفات الجبلية وطبيعة الإنسان والصفات الفطرية

وقد جاء هذا الفصل في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول مفهوم جبلة الإنسان والصفات الجبلية الخاصة

المبحث الثاني طبيعة الإنسان وخلقته والصفات الفطرية العامة

المبحث الأول مفهوم جبلة الإنسان والصفات الجبلية

وقد جاء هذا المبحث في أربعة مطالب:

المطلب الأول معنى الجبلة والصفات الجبلية

المطلب الثاني عرض القرآن الكريم لمفهوم الصفات الجبلية الخاصة

المطلب الثالث المصطلحات المقاربة للجبلة: الخُلق، النفس، الفطرة، الشاكلة

المطلب الرابع أقوال العلماء في وجود الصفات الجبلية في الإنسان

المطلب الأول معنى الجبلة والصفات الجبلية

أولا معنى الجبلة في اللغة: من مادة جبل وهو تجمع الشيء في ارتفاع، فالجبل معروف، ولا تخلو كلمة الجبلة عن معنى الاجتماع، والجبل فيه اجتماع الأجسام الكثيرة، وبالكسر يأتي لمعان عديدة: الوجه، أو بشرته، أو ما استقبلك منه، والمرأة الغليظة، والعيب، والقوة، وصلابة الأرض، والجبلة، بالكسر، الأصل، وثوب جيد الجبلة أي: الغزل، والجبلة، الخلقة، والطبيعة، والخليقة، والجبلّ: الجماعة العظيمة الكثيرة، كما جاء في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا}** [سورة يس/٦٢] أي خلقا كثيرا.[1]

ثانياً الاستعمال القرآني لكلمة الجبلة: وردت كلمة جبل وجبلة في القرآن الكريم في موضعين: يقول اللَّهُ تَعَالَى: **{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا}**[سورة يس/٦٢] يقول اللَّهُ تَعَالَى: **{وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ}**[سورة الشعراء/ ١٨٤]. معنى الجبل والجبلة في الآيتين: أمة، أو

[1] ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج/١، ص/٥٠٢؛ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الرازي (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب- التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ج/٢٦، ص/٣٠١.

جماعة من النَّاس، أي خلق جماعات مختلفة مجتمعة أمثالكم. والجبل أول الخلق، جبله: إذا خلقه الخلق الأول. فالجبلة مفرد الجبل، فالجبلة بمعنى طبيعة الإنسان، والجبل هي طبائع الإنسان، لكن المقصود منهما في الآيتين هو الناس أنفسهم، والجماعة من الناس. [١] وفي الآية إشارة إلى ما رّكب في الإنسان من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله. [٢]

والفرق بين الجبلة والناس: أن الجبلة اسم يقع على الجماعات المجتمعة من الناس، حتى يكون لهم معظم وسواد، وذلك أن أصل الكلمة الغلظ والعظمة، ومنه قيل الجبل لغلظه وعظمه، ورجل جبل وامرأة جبلة غليظة الخلق وفلان ذو جِبِلَّة، أي: غليظ الجسم، وثوب جيد الجبلة، فقيل للجماعة العظيمة: جِبل كما في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا}** [سورة يس/٦٢] أي: جماعة تشبيها بالجبل في العظم. [٣]

وقد جاء في أغلب التفاسير أن معنى الجبلة في الآية الخلق الكثير والأمة والجماعة من الناس، [٤] لكن جاء في مفرادات القرآن للراغب الإصفهاني: **{وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ}** [الشعراء/١٨٤] أي: المجبولين على أحوالهم التي بنوا عليها، وسبلهم التي قيّضوا لسلوكها المشار إليها بقوله تعالى: **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/ ٨٤]. [٥]

فهناك علاقة بين معنى الطبيعة، والخلقة بمعنى الجماعة، والخلق الكثير، أي أن المقصود من كلمة الجبلة في الآية هي الجماعة من الناس الذين جبلوا على صفات وأحوال معينة، وفيها إشارة إلى اختلاف طبائع الناس؛ بدليل أنه ربط الجبلة بالشاكلة التي هي طبيعة الإنسان وسلوكها

---

[١] عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤ هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م، ص/ ٣٤٢-٣٤٣.

[٢] الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت1412هـ، ص، ١٨٥.

[٣] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي،١٤١٢هـ، ص/١٥٦؛ الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت1412هـ، ص، ١٨٥.

[٤] الطبري، أبو جعفرمحمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار التربية والتراث - مكة المكرمة -، ج/٢٠، ص/ ٥٤٣؛ البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي**، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج/٧، ص/٢٥؛ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (١٣٢٥ – ١٣٩٣)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) ١٤٤١هـ - ٢٠١٩ م، ج/٦، ص/٧٢٥.

[٥] الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، ص/١٨٦.

والطريق التي يتبعها كما سنذكرها في المطالب الآتية. وبهذا المعنى يمكننا أن نقول بأن الجبلة وردت في القرآن الكريم بمعنى طبيعة الإنسان وخلقته أيضا وهذا هو موضوع بحثنا.

ويشير البيضاوي إلى معنى الطبيعة، والخلقة في كلمة الجبلة؛ إذ يفسر الجبلة بذوي الجبلة الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق، في آية **{وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ}** [سورة الشعراء/ ١٨٤] أي الناس أصحاب الطبائع المختلفة؛ وذوي الجبلة.[١]

ثالثاً معنى الصفات الجبلية: وأما المقصود من الصفات الجبلية، فهي الصفات التي ترجع إلى جبلة الإنسان يعني خلقته، وطبيعته. والصفات الجبلية نوعان؛ النوع الأول وهي الصفات الجبلية العامة التي توجد في جميع الناس ويشترك الناس فيها في طبيعتهم، وهذا ما يسمى بالصفات الفطرية، وسيتم شرح ذلك في المبحث الثاني. والنوع الثاني الصفات الجبلية الخاصة وهي الصفات الموجودة في كل إنسان بناء على طبائعهم المختلفة، يعني الصفات التي تختلف من إنسان لآخر وقد يسمى ذلك بالسجية أو الشخصية أو المزاج.[٢] وهذا هو موضع بحثنا يعني الصفات الجبلية الخاصة.

وقد خلق الله الناس مختلفي الطبائع والأمزجة لحكمة يريدها، والحقيقة أن الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان، أي مزاجه الشخصي، قد تكون موجودة من الخلقة بدون تأثير الوراثة، فهو يولد بها، وقد يتأثر بوراثاته القريبة، والبعيدة من أبويه وأهله. ثم تنمو هذه الصفات الجبلية بالتوجيه، والتربية، فالعامل الوراثي أصيل في النفس، ومطلوب لذاته، لكن ينميها الإنسان بالتربية والتوجيه، ويستطيع أن ينمي الصفات الإيجابية ما فيه من الخير، ويقوم ما قد يكون فيه من انحراف أونقص.[٣]

المطلب الثاني تناول القرآن الكريم لمفهوم الصفات الجبلية الخاصة

عندما ننظر في الآيات القرآنية، نرى أن مفهوم الصفات الجبلية الخاصة التي تخص كل إنسان على حدة، عبر عنه بكلمة الشاكلة التي ورد في سورة الإسراء في قوله تعالى **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا}** [سورة الإسراء/٨٤]، فالشاكلة كما سيأتي في المطلب القادم، المقصود منها هي: طبيعة الإنسان، وخليقته، وسجيته الخاصة، وقد ذكر في أغلب

---

[١] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ت ٦٨٥هـ، أنوار **التنزيل وأسرار التأويل**، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٤١٨ هـ، ج/٤، ص/١٤٩.

[٢] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، بيروت- لبنان، ١٣٠٠ هـ، ١٩٨٠م، ص/ ٥٠-٥١.

[٣] ينظر: محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م، ج/٢، ص/٣٢٥.

التفاسير أن كلمة الشاكلة في قوله تعالى: **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/٨٤] يأتي على معان متقاربة منها: على ناحيته، وحدته، وطبيعته، ونيته، ومذهبه، وطريقته، وخليقته، وجبلته، وملكته الغالبة عليه، **والحاصلة له من استعداد حقيقته،**[١] وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى؛ لأنها ترجع إلى الصفات الموجودة في الإنسان، يعني كل إنسان يعمل بحسب طبيعته وجبلته، وسجيته، ومزاجه.

وقد رأينا في تفسير العلماء للشاكلة بأن المقصود منه هي الصفات الجبلية الخاصة التي هي موضوع بحثنا. كما نرى ذلك عند البيضاوي في تفسيره لمعنى الشاكلة "أحواله التابعة لمزاج بدنه"[٢] أي أحواله التابعة لجبلته، وسجيته، وبذلك نرى أن البيضاوي فسر الشاكلة بأنه المزاج، والمزاج مصطلح آخر يأتي بمعنى الجبلة الخاصة.

وجاء في تفسير المراغي بأن الشاكلة هي: ما طبع عليه الناس من الخير والشر فى أصل الخلقة وما استعدوا له، أو ما ألف عليه الناس بالتجربة أو بالعادة.[٣] وبذلك نرى أن المراغي فسر الشاكلة بمعنى يشمل الصفات الجبلية العامة، الصفات الجبلية الخاصة. ويفهم من هذه الآية أن الناس يختلف بعضهم عن بعض؛ من حيث مزاجهم وجبلتهم التي خلقوا عليها، وبنوا عليها.

وقد أشار القرآن الكريم في كثير من المواضع إلى وجود الفروق الفردية في الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان، ووجود فروق كثيرة بين الناس في استعداداتهم وقدراتهم البدنية والنفسية، حيث بين القرآن في آيات كثيرة تفضيل بعض الناس على بعض؛ ومن أنواع التفضيل ما جبل عليه كل إنسان من سجيته، ومزاجه الخاص، كما جاءت في هذه الآيات؛ **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَآئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ اٰتٰيكُمْ اِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَاِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}** [سورة الأنعام/١٦٥] **{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ**

---

[١] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، **غريب القرآن**، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م ،ص/٢٦٠؛ بن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ، ج/٣، ص/٤٨١؛ القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج/١٠، ص/٣٢٢؛ خازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (ت ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ، ج/٣، ص/١١٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم** دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج/٥، ص/١١٣؛ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت ١٣٣٢ هـ)، **محاسن التأويل**، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨هـ، جم٦، ص/٤٩٩.

[٢] البيضاوي، أنوار **التنزيل وأسرار التأويل**، ج/٣، ص/٢٦٥.

[٣] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م، ج/١٥، ص/٨٧.

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [سورة الزخرف/٣٢] **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}** [سورة الروم/٢٢] **{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}** [سورة الإسراء/٢١]

ومن الواضح في هذه الآيات الإشارة إلى وجود الفروق الفردية بين الناس، كما أن هذه الفروق ترجع إلى كل من العوامل الوراثية أو البيئة، وتشمل ذلك كل أنواع الفروق بين الناس سواء كانت وراثية أم مكتسبة، وسواء كانت بدنية أو نفسية أو عقلية، كذلك تشمل الفروق بين الناس في القدرات الفعلية والذكاء؛ وذلك في قوله تعالى **{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}**[سورة يوسف/ ٧٦]. وبما أن الناس مختلفون في استعدادتهم وقدراتهم وفي ظروفهم الاجتماعية والثقافية وخبراتهم الشخصية فإن ذلك يؤدي إلى وجود اختلافات كثيرة في سلوكهم كما في قوله تعالى **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/٨٤].[١]

وقد جاء في تفسير معنى التفضيل في الآية: التفضيل في العطايا العاجلة، بتفضيل بعضهم على بعض؛ من غني وفقير، وقوي وضعيف، وصحيح ومريض، وعاقل، وأحمق.[٢]

وجاء في تفسير معنى رفع بعضهم فوق بعض في الدرجات: رفع الدرجات في الخلق، والرزق، والمعاش، والقوة، والفضل، والعلم، والتفاوت بينهم في المحاسن، والمساوئ، والمناظر، والأشكال، والألوان.[٣] والدرجات: لفظ عام في المال، والقوة، والجاه، وجودة النفوس، والأذهان.[٤]

ونرى في هذه التفسيرات أن هذا التفاوت والتفاضل بين الناس قد يكون بالصفات التي منشؤها جبلة الإنسان وسجيته، مثل القوة، والضعف فقد يكون الإنسان شجاعا أو جباناً بمزاجه، والشجاعة نوع من القوة، والجبن نوع من الضعف.

وقد بين النبي ﷺ التفاوت بين المسلمين في القوة والضعف، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ

---

[١] ينظر: حيدر، فؤاد، **الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي**، دار الفكر العربي، ١٩٩٠ م، ص/ ٢٧٠-٢٧١؛ نجاتي، دكتور محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١، ص/٢٥١.

[٢] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ، ج/٣، ص/٢٥٩.

[٣] تفسير البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج/ ٣، ص/ ٢١٢؛ **القرطبي، الجامع لأحكام القرآن**، ج/٧، ص/١٥٨؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج/٣، ص/ ٤٨٤؛ القاسمي، **محاسن التأويل**، ج/٤، ص/٥٥٨.

[٤] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج/٢، ص/٣٧١.

خَيْرٌ}.[1] يعني في كل من القوي، والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان.[2] والقوي: يعني: القوي البدن والنفس.[3] فقد يكون سبب التفاوت في القوة يرجع إلى المزاج الشخصي عن الإنسان، بدليل أنه قال في كل خير يعني مهما كان الصفة الجبلية والمزاجية في الإنسان سواء كان شجاعا أم لا قويا في مزاجه أم لا فإن فيه خيرا بحسب ما يقوم به من أعمال بحسب مزاجه؛ فالقوي يعمل بحسب مزاجه والضعيف يعمل بحسب مزاجه، وفي كل خير إذا عملوا.

وقد أسند القرآن إلى بعض الأنبياء صفات خاصة، وهي ترجع إلى الجبلة؛ منها ما جاء في حق سيدنا إبراهيم: قال تعالى: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ}** [سورة هود/ ٧٥]، **{إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}** [سورة التوبة/١١٤].

فقد مدح الله سيدنا إبراهيم بالصفات الجميلة، فقد وصفه الله في هذه الآية بكونه حليما أي قليل الغضب، قيل: إنه لم يغضب قط لنفسه إلا أن يغضب لله، وبكونه أواها أي كثير التوجع والتفجع عند نزول المضار بالناس. فسيدنا إبراهيم كان بطيء الغضب، متذللا لربه خاشعا له، رَجَّاعا إلى طاعته.[4]

ويفهم من ذلك أن صفة الحلم الموجودة في سيدنا إبراهيم، صفة جبلية خاصة ترجع إلى مزاجه الشخصي، وسجيته. يعني أن سيدنا إبراهيم جبل على هذه الصفة بخلقته، فهو لا يغضب بسرعة، وهذا راجع إلى المزاج والسجية الشخصية. لكن قد يرد احتمال كون هذه الصفة في سيدنا إبراهيم مكتسبة، لكن مدح الله له بهذه الصفة الموجودة فيه، من دون غيره من الصفات، يدل على أن هذه الصفة هي السمة الأساسية فيه التي يتميز بها عن غيره من الأنبياء، وهذا يرجع إلى طبيعته الشخصية؛ إلا أن سيدنا إبراهيم احتفظ على هذه الصفة الموجودة في مزاجه ونماها، ولذلك استحق المدح عليها بسبب كسبه في الحفاظ على الصفة الجبلية الخاصة الموجودة فيه.

---

[1] **أخرجه المسلم في صحيحه**، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة، وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، رقم الحديث ٢٦٦٤.

[2] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٣٩٢، ج/١٦، ص/٢١٤.

[3] القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج/٦، ص/٦٨٢.

[4] الطبري، **جامع البيان**، ج/١٥، ص/٤٠٦؛ فخرالدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، **ج/** ١٦، ص/ ١٥٨؛ القرطبي، ج/ ٩، /٧٣؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج/٤، ص/٣٣٥.

كما جاء في قول رسول الله للأشج، بمدحه على صفة الحلم والأناة: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ.}[1]

فالحلم هو العقل وعدم سرعة الغضب، وأما الأناة فهي التثبت، وترك العجلة، وهما صفتان ترجعان إلى المزاج الشخصي للأشج، وليست مكتسبة، بدليل ما جاء في رواية أخرى للحديث؛ أنه لما قال رسول الله ﷺ للأشج إن فيك خصلتين الحديث قال يا رسول الله كانا في، أم حدثا؟ قال: بل قديم، قال: قلت الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما".[2] وفي رواية أخرى فقال: أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما، فقال: "بل جبلك الله عليهما" فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله.[3] ودل هذا الحديث على أن من الخلق ما هو كطبيعة وجبلة، وما هو مكتسب.[4]

وقد أيد هذه الآيات القرآنية، ما جاء في كثير من الأحاديث النبوية بتفاوت الناس في طبائعهم، وأمزجتهم، وجبلتهم الخاصة، فهذه الأحاديث بمثابة تفسير لتلك الآيات القرآنية بالحديث.

منها: قول النبي ﷺ (النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ.)[5]

وقد جاء في شرح هذا الحديث: "أي الناس كالمعادن؛ ففي الكلام تشبيه بليغ؛ أي تجدون أيها المخاطبون أجناس النّاس، وأنواع بني آدم أصولًا مختلفة، وأجناسًا متجنسة، وشعوبًا متشعبة، وقبائل متنوعة في الخلق، والأخلاق، والطبائع، والألوان، كالمعادن التي تستخرج من الأرض المختلفة الأجناس من الذهب، والفضة، والنحاس، والرصاص، والحديد، والنفط، والبارود المختلفة الألوان، والصفات، والمنافع، والضرر.[6]

---

[1] **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، رقم الحديث ١٧.

[2] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج/١، ص/١٨٩.أخرجه أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) في مسنده، رقم الحديث: ٦٨٤٨.

[3] أخرجه **الإمام أحمد بن حنبل** في مسنده، الملحق المستدرك من مسند الأنصار بقية، مسند الوزاع بن الزراع العبدي، رقم الحديث، ٥٤.

[4] الفيومي، أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر القاهري (٨٠٤ - ٨٧٠ هـ)، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري** (ت ٦٥٦ هـ)، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م، ج/١١، ص/٧٥.

[5] **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم الحديث ٢٦٣٨.

[6] الهَرَري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الشافعي، **الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، ج/٢٤، ص/١٨٨.

((خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا))، يعني: أن أهل الجود، والكرم، والشجاعة، ونصرالمظلوم، والإحسان في الجاهلية، إذا أسلموا تزيد هذه الصفات فيهم وتنمو، وتقوى؛ لأن معادنهم أصيلة، وطباعهم كريمة.[1]

ومعنى الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف: يقول القرطبي في شرحه على صحيح مسلم: "كالأرواح المجبولة على الخير، والرحمة، والشفقة، والعدل، فتجد من جبل على الرحمة يميل بطبعه لكل من كان فيه ذلك المعنى، ويألفه، ويسكن إليه، وينفر ممن اتصف بنقيضه، وهكذا في الجفاء والقسوة، ولذلك قد شاع في كلام الناس قولهم: المناسبة تؤلف بين الأشخاص، والشكل يألف شكله، والمثل يجذب مثله."[2]

ويفهم من هذا أن الناس متفاوتون بحسب جبلتهم، ومزاجهم، ولهم مراتب، ودرجات ليسوا على درجة واحدة، وأن هذا التفاوت هو بسبب طباع الناس وأصل خلقتهم. وذكر في الحديث أن من كان خيرا في الجاهلية يكون خيرا أيضا في الإسلام. فالسبق في صفات الشرف، والفضل في الجاهلية، ينتقل مع الإنسان في الإسلام إذا فقه، وفهم، ويزداد بالوحي، وباتباع النبي ﷺ، كعمر بن الخطاب، وأبي بكر الصديق هم كانوا أصحاب سبق في الجاهلية بأحسن الصفات الجبلية، وكانت شخصيتهم قوية، وعندما دخلوا في الاسلام لم تتغير شخصيتهم بالكامل، بل خدموا الإسلام بهذه الصفات الجميلة الموجودة فيهم، وأضافوا عليها صفات جميلة أخرى.

[1] لاشين، الأستاذ الدكتور موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، دار الشروق ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، ج/٧، ص/٤١٦.

[2] القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، ج/٦، ص/٦٤٥.

المطلب الثالث المصطلحات المقاربة للجبلة: النفس، الشاكلة، الفطرة، الخُلق

الفرع الأول النفس:

معنى النفس لغة: يأتي في اللغة بمعنى الروح، والقلب، والعقل، وبمعنى الذات، وجنس الإنسان، والدم، وبمعنى العظمة والكبر واالعزة والهمة، والنفس عين الشيء وكنهه وجوْهره، والنفس الأنفة، والنفس العين التي تصيب المعين.[1]

والنفس بمعنى الروح: هي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وهي الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه، وفي وقت النوم ينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه، فالنوم والموت على هذا المعنى من جنس واحد؛ لأن الموت هو الانقطاع الكلي، والنوم هو الانقطاع الناقص.[2]

أولاً كلمة النفس في القرآن الكريم: وردت كلمة النفس في القرآن الكريم على أكثر من معنى:

منها: الروح الذي به حياة الجسد، وكل إنسان نفس على هذا المعنى؛ يقول الله تعالى: **{اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}** [سورة الزمر/٤٢] ذكرت النفس في هذه الآية بمعنى الروح.[3]

الفرق بين النفس، والروح يعود لقضية الاتصال والانفصال بين الروح، والجسد؛ فعند الاتصال يسمى العنصر العلوي نفسا، وعند الانفصال يسمى روحا. والروح إذا اتصلت بالجسد، فتسمى نفسا في القرآن ولا يقال لها روح. وإذا انفصلت الروح عن الجسد تسمى روحا. وقد أسند الله جل وعلا لهذه النفس القول: **{اَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتٰى عَلٰى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّٰهِ وَاِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}** [سورة الزمر/٥٦] فالإنسان يتكون من جسد، وروح، فإذا مزجت الروح بالجسد

[1] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، دار ومكتبة الهلال، ج/٧، ص٢٧٠؛ ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/٦، ص/٢٣٣ إلى٢٤٠.

[2] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات** دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، 1403هـ -١٩٨٣م، ص/٢٤٢-٢٤٣.

[3] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب -التفسير الكبير، ج/٢٦، ص/٤٥٦.

تسمى نفسا. وهذه النفس هي التي أقسم الله جل وعلا بها في سورة الشمس فقال: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوّٰيهَا فَاَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوٰيهَا}** [سورة الشمس /٩-٨][1]

والنفس بهذا المعنى ثلاثة أنواع؛ منها النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى. وقد وردت النفس المطمئنة في قوله تعالى: **{يَا اَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}** [سورة الفجر/٢٧-٢٨]،[2] وهي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة. والنفس اللوامة في قوله تعالى: **{وَلَآ اُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** [سورة القيامة /٢] هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة، بحكم جبلتها، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها. والنفس الأمارة في قوله تعالى: **{وَمَا اُبَرِّئُ نَفْسِيۚ اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوۤءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيۜ اِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [سورة يوسف/٥٣]، هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة.[3]

ومنها: القلب، والفؤاد يعني العالم الداخلي للإنسان؛ يقول الله تعالى: **{اُولٰٓئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِٓي اَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً}** [سورة النساء/٦٣] يعني في قلوبهم.[4]

وهناك استخدام آخر لكلمة النفس في القرآن بمعنى الذات: **{لَا نُكَلِّفُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَا}** [سورة الأنعام/١٥٢] ووردت أيضا بمعنى جنس الإنسان **{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ اَنْفُسِكُمْ}** [سورة روم/٢٨] والأنفس هنا جنس الناس.[5]

ووردت أيضا بمعنى الضمير، وهي القدرة على التمييز بين الخير والشر عند الإنسان؛ كما في الآية التالية: **{فَرَجَعُوا اِلٰٓى اَنْفُسِهِمْ فَقَالُٓوا اِنَّكُمْ اَنْتُمُ الظَّالِمُونَۙ}** [سورة الأنبياء/٦٤] والمراد

---

[1] شمس، محمود سعد عبدالحميد، الطبيعة الإنسانية وضوابطها في ضوء القرآن الكريم: جانبا العقل والأخلاق أنموذجاً، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ٢٠١٤ -م، ص/ ٢١٥.

[2] ابن قيم الجوزية، الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (٦٩١ - ٧٥١)، **كتاب الروح**، دار العالم الفوائد، ج/٢، ص/٦٢٢.

[3] الجرجاني، كتاب التعريفات، ص/٢٤٢-٢٤٣.

[4] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)، تفسير **النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج/١، ص/٣٦٩.

[5] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٢١، ص/٨٥.

بالنفس النفس الناطقة يعني الضمير[1] وكما يتضح من هذه الآية، فإن صواب أو خطأ السلوك يمكن كشفه من قبل النفس، أي الضمير. والحقيقة أن الضمير ليس هو النفس، وإنما هو جانب من جوانبها وأن الضمير ليس على نفس المستوى عند الجميع. فالنفس خلقت مع الميول إلى الخير، والشر كما قال تعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوّٰيهَاۙ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوٰيهَاۙ}** [سورة الشمس /٩-٨] وإذا تقوّت النفس بقيم دينية وأخلاقية، فإن جانبها الصالح سيظهر وسيقوى الضمير في النفس الإنسانية.[2]

وهناك استخدام آخر لكلمة النفس في بعض آيات القرآن، بمعنى مصدر الرغبات الإيجابية والسلبية في البشر. ويمكن الاستشهاد على استعمال النفس بمعنى الرغبات السلبية بهذه الآية **{وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيۚ اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيۜ اِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [سورة يوسف/٥٣] [3] معنى النفس المذكورة في هذه الآية هي الصفة الدنيئة فيها، والنفس ليست سيئة من حيث ذاتها، لكن يتم وصفها حسب الوضع الذي هي فيه. لذلك، لا يمكننا القول إن كل رغبات النفس ستكون سلبية دائمًا بهذه الطريقة.

وأما استعمال النفس بمعنى الرغبات الطيبة ففي هذه الآية **{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۚ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ اَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَۚ}** [سورة الأنبياء/١٠٣] كما يرى أن للنفس أيضا الرغبات الإيجابية، ولذلك فمن الخطأ في رأينا أن تكون رغبات النفس رغبات سلبية دائمًا. فالنفس تحقق رغباتها إما بطريقة إيجابية أو بطريقة سلبية، حسب الصفة التي هي عليها؛ فعلى سبيل المثال: عندما نعتبر النفس مصدرا للشهوة أو الدافع الجنسي عند الإنسان، فإذا تم تلبية هذه الحاجة من خلال مؤسسة الزواج، فستظهر الرغبة الإيجابية للنفس، وأما إذا حاولت تلبية هذه الحاجة من خلال العلاقات خارج الزواج، فسيظهرالرغبة السلبية للنفس. أي بالنسبة للشخص الأول، فإن هذه الرغبة وإشباعها من خلال الزواج قد تحقق بأمر شرعي، بينما يعتبرالشخص الثاني يجعل هذه الرغبة رغبة غير مشروعة.

لقد ميز الإسلام ثلاثة أقسام للنفس وهي النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة. بعد نزول القرآن بنحو أربعة عشر قرناً من الزمان جاء فرويد مؤسس مدرسة التحليل

---

[1] القاسمي، **محاسن التأويل**، ج/٧، ص/٢٠٢.

[2] MUAMMER CENGİL, (YÜKSEK LİSANS TEZİ) KUR'AN- I KERİM'DEKİ NEFS KAVRAMINA PSİKOLOJİK AÇIDAN BİR YAKLAŞIM جنكيل، معمر، (تحليل مصطلح النفس في القرآن الكريم من منظور علم النفس) ،رسالة مجستير، ص/١٦.

[3] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، ج/١٨، ص/٤٧٠.

النفسي بنظرية ميز فيها ثلاثة أقسام للنفس وهي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى. الهو يشبه إلى حد ما مفهوم النفس الأمارة بالسوء، والأنا الأعلى يشبه إلى حد ما مفهوم والنفس اللوامة، والأنا يشبه إلى حد ما حالة النفس المطمئنة، التي يصل إليها الإنسان بالتغلب على أهوائه وبتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية.[١]

ثانياً علاقة النفس بالصفات الجبلية: الصفات التي ورد ذكرها في كتب علم النفس على أنها الصفات الشخصية والجبلية، تم ذكرها في القرآن على أنها صفات النفس؛ قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهٖ نَفْسُهٗۚ وَنَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** [سورة ق/١٦] إن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان بهذه الطريقة ويعرفه بأفضل طريقة، فقدم لنا بيانات من شأنها أن تلقي الضوء على تفسيرات علم النفس من خلال النظر في الجوانب الإيجابية، والسلبية لشخصية الإنسان، وخصائص مزاجه.

ويمكننا أن نذكر الآيات التالية كمثال: **{وَاُحْضِرَتِ الْاَنْفُسُ الشُّحَّۜ}** [سورة النساء/١٢٨] يذكر في هذه الآية أن نفس الإنسان فيها صفة الغيرة، لأن الغيرة غريزة معقولة، وضرورية طالما أنها محسوبة، ومتوازنة لكن هناك شكل غير مرغوب فيه من الغيرة، وهو نوع من الغيرة التي تدفعه إلى كراهية، وانتقامية تؤدي إلى العداء الذي نسميه "الحسد". ويمكننا أن نذكر الآية التالية في القرآن كمثال أيضا: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ اِيمَانِكُمْ كُفَّاراًۚ حَسَداً مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّۚ}** [سورة البقرى/١٠٩]. ومن المواقف التي ورد ذكرها في القرآن على أنها صفة سلبية للنفس هي البخل **{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهٖ فَاُوْلٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَۚ}** [سورة الحشر/٩][٢]

كما يتضح لنا من هذه الآيات، فإن مفهوم النفس مستخدم في بعض آيات القرآن لشرح السمات الشخصية، والجبلية للإنسان المكونة من النفس، والجسد. إن النفس ليس شيئا منفصلا عن الصفات الجبلية الموجودة في البشر. ومع ذلك ليس من الصحيح القول إن النفس بالكامل بمعنى الجبلة. وقد تبينت في القرآن، أن النفس هي المكان الذي توجد فيها تلك الصفات، والغرائز، والمشاعر التي تعتبر مهمة جدًا للبشر؛ مثل الغيرة، والبخل، والشجاعة.

---

[١] شمس، **الطبيعة الإنسانية وضوابطها في ضوء القرآن الكريم:** جانبا العقل والأخلاق أنموذجاً، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر - ص/ ٢٦٥-٢٦٦.

[٢] MUAMMER CENGİL (YÜKSEK LİSANS TEZİ) KUR'AN- I KERİM'DEKİ NEFS KAVRAMINA PSİKOLOJİK AÇIDAN BİR YAKLAŞIM جنكيل، معمر، **(تحليل مصطلح النفس في القرآن الكريم من منظور علم النفس)** ،رسالة مجستير، ص/٥٧-٥٨.

الفرع الثاني الشاكلة:

أولاً كلمة الشاكلة لغة: من مادة شكل، والشكل، بالفتح: يأتي بمعنى الشبه، والمثل، والجمع أشكال وشكول، كما في قوله تعالى: **{وَاٰخَرُ مِنْ شَكْلِهِۦٓ اَزْوَاجٌ}** [سورة ص/٥٨] شكل في هذه الآية بمعنى مثل.[١] ويأتي بمعنى ما يوافقك ويصلح لك، تقول: هذا من هواي، ومن شكلي، ويأتي أيضا بمعنى الهوى. والشاكلة: الشكل، والناحية، والنية، والطريقة، والمذهب، والسجية، والطبع كما قال الله تعالى: **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/٨٤] أي على خليقته، وطبيعته.[٢] والشاكلة بمعنى مزاج الإنسان وخصائصه الشخصية؛ مثل صفة الإقدام والعصبية والمروحة وغير ذلك من الصفات التي تخص الإنسان، وتميزه من غيره.[٣]

ثانياً ورود كلمة الشاكلة في القرآن: وردت كلمة الشاكلة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا}** [سورة الإسراء/٨٤] عندما ننظر في تفسير هذه الآية، نرى أن المفسرين ذكروا لها عدة معان كلها متقاربة من بعضها البعض. ومن تلك المعاني: الناحية، الخليقة، الطريقة التي جبل عليها الإنسان، الطبيعة والجبلة.[٤] وهذه المعاني كلها ترجع إلى مفهوم الصفات الجبلية التي هي موضوع بحثنا.

وقد صرح الراغب الإصفهاني بأن **الشاكلة في الآية بمعنى السجية، وهي اسم لما يسجى عليه الإنسان فيما لا يمكن تغييره، وهو مزاج الإنسان، وجبلته الخاصة**، وسجيّته التي قيّدته، وذلك أنّ سلطان السّجيّة على الإنسان قاهر.[٥]

وقد فسر فخر الدين الرازي الشاكلة بما شاكل جوهر نفس الإنسان، ومقتضى روحه، يعني أن كل أحد يفعل على وفق ما شاكل جوهر نفسه، ومقتضى روحه، "فإن كانت نفسه نفسا مشرقة خيرة طاهرة علوية صدرت عنه أفعال فاضلة كريمة، وإن كانت نفسه نفسا كدرة نذلة

---

[١] ابن المنظور، **لسان العرب**، ج١١، ص/٣٥٧.

[٢] إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ج/١، ص/ ٤٩١؛ ابن قتيبة، **غريب القرآن**، ص/٢٦٠؛ الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص/١٠١٩. ابن المنظور، **لسان العرب**، ج١١، ص/٣٥٧.

[٣] PİŞGİN, YASİN, KUR'ÂN'DA KARAKTER İNŞASI, TİMAŞ YAYINLARI, İSTANBUL 2022. بيشكين ياسين، إنشاء الخلق في القرآن، دار تيماش، إستانبول، ٢٠٢٢، ص/٥٢.

[٤] تفسير البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج/٥، ص/١٢٤.

[٥] الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن** ص/ ٤٦٢ – ٤٦٣؛ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: {ولقد يسَّرنا القرآن للذكر} /القمر: ١٧ - ٢٢ - ٣٢ - ٤٠ / رقم الحديث: ٧١١٢.

خبيثة مضلة ظلمانية صدرت عنه أفعال خسيسة فاسدة."[1] وهذا المعنى عام يشمل الصفات الجبلية، والصفات المكتسبة، إذ كون النفس خيرة أو خبيثة، قد يكون بصفات جبلية مطبوعة في الإنسان، وقد يكون بصفات مكتسبة.

ويقول المفسر التركي ألماليلي: "على الرغم من أن كلمة الشاكلة قد تم تفسيرها بمعان مختلفة... فإن معناها الأكثر شمولاً هو المزاج. يعني يتصرف الجميع بالطريقة التي تناسب حالتهم ومزاجهم، ويمارس أعماله وفقًا لمشاعره الخاصة. **{فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا}** [سورة الإسراء/٨٤] يعني لن يكون كل شخص على الطريق الصحيح من خلال تصرفه وفقًا لمزاجه، واتباع المسار الذي يحلو له، ولا يمكن أن يكون الدين أو المذهب على حق لأنه يناسب مزاج أو مشاعر أي شخص أو مجتمع. والدين الحق هو ما أنزله الله في كتابه ورسوله، وطوبى لمن يكون طبعه موافقا مع الحق."[2]

إذن فالشاكلة التي وردت في القرآن الكريم استعملت بمعنى الجبلة الخاصة عند الإنسان أو سجيته، والذي هي موضوع بحثنا، وقد ذكرنا بأن ورود الشاكلة بهذا المعنى في القرآن الكريم دليل على وجود الصفات الجبلية الخاصة، وأن له تأثيرا في عمله وهدايته.

الفرع الثالث الفطرة:

كلمة الفطرة لغة: تأتي بمعنى الشق: من فطر الشيء يفطره، وفي التنزيل العزيز: **{هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ}** [سورة الملك/٣] ومنه قوله تعالى:**{ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ}** [سورة الإنفطار/١] .[3] ويأتي بمعنى الاختراع والإيجاد؛ يقال: فطر الله الخلق: أي خلقهم، ومنه قوله تعالى: **{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [سورة الأنعام /٧٩] وقوله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** [سورة الفاطر/١].[4] والفِطرة بالكسر: يأتي بمعنى الخِلْقة، والخِلقة التي خُلق عليها المولود في رحم أمّه.[5]

---

[1] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب، التفسير الكبير**، ج/٢١، ص/٣٩١.

[2] ألماليلي، حمدي يازير، تفسير الدين الحق لسان القرآن، ELMALILI, HAMDİ YAZIR, HAK DİNİ KUR'ÂN DİLİ, ÇELİK&ŞURA YAYINLARI, İSTANBUL, 1993، ج/٥ ص/١٤٨.

[3] ابن المنظور، لسان **العرب**، ج/٥، ص/٥٥.

[4] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/٣، ص/١٧٢١.

[5] ابن المنظور، **لسان العراب**، ج/٥، ص/٥٦. الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ص/٤٥٧.

أولاً معنى الفطرة في القرآن الكريم: ومن أقرب الكلمات إلى معنى الجبلة في القرآن هو الفطرة. فقد ذكرت كلمة الفطرة في القرآن الكريم في مكان واحد؛ يقول الله تعالى في سورة الروم: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ۚ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سورة الروم/٣٠]

لقد اختلف العلماء في تعريف الفطرة، ولهم أقوال عديدة في معنى الفطرة؛ فالفطرة تأتي على معنيين؛ أولهما: صنعة الله التي خلق الناس عليها. وثانيهما: التوحيد ودين الله الذي فطر خلقه عليه؛ حيث أخذهم من ظهر آدم، وسألهم {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}؟ [الأعراف: ١٧٢].[١] فالآية عامة في الناس جميعاً يعني كل الناس خلقوا على فطرة الإسلام، لكن ذهب بعضهم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام.[٢]

ويرجح الزمخشري كون الفطرة بمعنى الخلقة بدليل ما جاء بعدها من قوله تعالى: **{لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ}** [سورة الروم/٣٠]: يعني خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام؛ لكونه مجاوبا للعقل، ولو تركوا إلى أنفسهم، لما اختاروا عليه دينا آخر، ومن ضل منهم فبإغواء الشياطين؛ ومنه قوله ﷺ {كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى،}[٣] وقوله عليه السلام: {كُلُّ مَوْلُودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ.}[٤] **[سورة الروم/٣٠]** أى ما ينبغي أن تبدّل تلك الفطرة أو تغير.[٥] يعني أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة على الجبلة السليمة، والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، لأن هذا الدين موجود حسنه في القبول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات النشوء والتقليد"[٦]

---

[١] الطبري، جامع **البيان عن تأويل آي القرآن**، ج/٢٠، ص/٩٨؛ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير با (ت ٤٥٠هـ)، **تفسير الماوردي، النكت والعيون**، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ج/٤، ص/٣١٢؛ البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي**، ج/٣، ص/٥٧٧؛ فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب التفسير الكبير** ج/٢٥، ص/٩٨.

[٢] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي**، ج/٣، ص/٥٧٧.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث:٢٨٦٥.

[٤] أخرجه االبخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: ١٣١٩.

[٥] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت١٤٠٧ هـ، ج/٣، ص/٤٧٩.

[٦] المصدر السابق.

ويدل على أن معنى الفطرة هي الإسلام ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ}، ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: **{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}** [سورة الروم/٣٠].

ثانياً علاقة الفطرة بالصفة الجبلية: خلاصة القول إن معنى الفطرة عند العلماء والمفسرين هو الدين، والإسلام، والتوحيد، فجميع الناس خلقوا على جبلة مهيئة لقبول الإسلام، يعني أن الله تعالى خلق في الإنسان صفات جبلية حسنة، وخلقه على طبع سليم؛ بحيث إذا بقيت تلك الصفات والطبع على حالها من دون تأثر بالمؤثرات الخارجية؛ فإنها ترشد الإنسان إلى قبول دين الإسلام والتوحيد. وأما إذا تأثر الإنسان بمؤثرات خارجية فستنغمر الفطرة، ولن تهدي الإنسان إلى الإسلام.[١]

إذن فالفطرة التي ذكرت في القرآن الكريم تعني الصفات الجبلية الحسنة في الإنسان والتي تجعل الإنسان مهيأ لقبول دين الإسلام، وفسرت بقبول الدين والإسلام من هذا المنطلق من حيث كون الإسلام نتيجة لتلك الصفات الحسنة، لكن توجد صفات فطرية أخرى في الإنسان قد تكون مذمومة، فهذه الصفات أيضا موجودة في فطرة الإنسان وخلقته التي خلق عليها. والفطرة بمعناها اللغوي تشمل الصفات الحسنة والصفات المذمومة، وهي النوع الأول من الصفات الجبلية في الإنسان وهي الصفات الجبلية العامة. وسنتناول في المبحث القادم الصفات الفطرية بالتفصيل.

الفرع الرابع الخلق

كلمة الخلق لغة: بالضم جمعها الأخلاق: وهو الطبع والسجية، والمروءة، والقوى والسّجايا المدركة بالبصيرة.[٢]

أولاً الخلق في اصطلاح العلماء: ملكة، وكيفية راسخة في النفس متمكنة من الفكر، تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر، وروية[٣]. والخلق ملكة نفسانية

[١] هوكلكلي، حياتي، مادة الفطرة، موسوعة رئاسة الشؤون الدينية التركية، ج/١٣ ص/٤٧.

[٢] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص/٢٩٧؛ ابن منظر، **لسان العرب**، ج/١٠، ص/٨٨. الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ص/ ٨٨١.

[٣] الجرجاني، **التعريفات**، ص/ ١٠١. بتصرف

يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة. فالإتيان بالأفعال الجميلة شيء، وسهولة الإتيان بها شيء آخر، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق.[١]

فالخلق مجموع دوافع، وطبائع نفسية، قسمان: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يغضب بسرعة، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة، والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويَّة، والفكر، ثم يستمر أولًا فأولًا، حتى يصير ملكة وخلقًا.[٢] وبهذا المعنى يكون الخلق أعم من الصفات الجبلية، ويشملها.

فالخلق الكسبي الذي ينشأ عن تمرن الفكر عليه، ومحاولته يسمى تخلقا، فالتخلق يأتي دونه الخلق؛ فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية يجري أعماله على ما تمليه عليه نفسه؛ بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاها.[٣]

والخلق يشمل الأوصاف الحسنة والسيئة الموجودة في الإنسان، إضافة إلى ذلك فليست كل الأعمال التي تصدر عن الإنسان تسمى خلقاً، وإنما الخلق هو الأوصاف التي تكون طبعا في الإنسان وتصدر عنه من دون تفكر، وروية فمن يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال: خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل، وهو يبذل، لباعث أو رياء.[٤]

لكن اعتبر الراغب الإصفهاني كلمة الخلق أشمل من كونه هيئة نفسية يصدر عنها الفعل بدون روية؛ بل يشمل عنده الهيئة النفسية التي جبل عليها الإنسان، وهي السجية، والطبيعة، والجبلة، وتعني الأوصاف التي طبع عليها الإنسان منذ الولادة، ويشمل أيضا الأفعال التي يفعلها الإنسان؛ فالعفة والعدالة والشجاعة مثلا يقال للهيئة، وللفعل جميعاً، وأما السخاء والجود، فالسخاء اسم للهيئة التي عليها الانسان، والجود اسم للفعل الصادر عنها.[٥]

وخلاصة القول إن كلمة الخلق أعم من الصفات الجبلية؛ ويشمل الصفات الجبلية، والصفات الكسبية؛ والخلق يستعمل تارة بمعنى سجية الإنسان التي جبل عليها الإنسان من

---

[١] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/ ٦٨٨.

[٢] ينظر: ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، ص/ ٤١.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٩، ص/١٧١-١٧٢.

[٤] ينظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص/ ١٠١.

[٥] الراغب الإصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، ص،٤٩-٥٠.

الصفات الجبلية الخاصة؛ ويستعمل تارة بمعنى يشمل الصفات النفسية، وأعمال الإنسان الكسبية التي يكتسبها الإنسان بالتعود حتى يصير ملكة له، والتي توصف بالحُسْن أو القُبْح.[١]

ثانياً الاستعمال القرآني لكلمة الخلق: وقد وردت كلمة الخلق في القرآن الكريم في موضعين، وأما كلمة الآخلاق فلم تذكر في القرآن الكريم. يقول الله تعالى: **{إِنْ هٰذَآ إِلَّا خُلُقُ الْاَوَّلِينَۙ}** [سورة شعراء/١٣٧]، **{وَإِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [سورة القلم/٤].

قوله تعالى ذكره **{إِنْ هٰذَآ إِلَّا خُلُقُ الْاَوَّلِينَۙ}** [سورة الشعراء/١٣٧]: وقد جاء في تفسير معنى الخلق عدة معان منها: دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم، أو خلقة الأولين، أو هكذا كانوا يحيون ويموتون، أو كذب الأولين وأساطيرهم، أو اختلاق الأولين. أوهو السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر، وقد فسر بالقوى النفسية، ويشمل طبائع الخير وطبائع الشر.[٢]

قوله تعالى: **{وَإِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [سورة القلم/٤] يعني: وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه، كما جاء في الحديث: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن.[٣] أي كان متمسكا به، وبآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف.[٤] والخلق العظيم: هو الخلق البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن، والأخلاق كامنة في النفس، ومظاهرها تصرفات صاحبها.[٥]

ومن معاني هذه الآية: "وإنك لعلى دين عظيم" يقول الرازي في هذا التفسير: "وهذا إشارة إلى أن نفسه المقدسة كانت بالطبع منجذبة إلى عالم الغيب، وإلى كل ما يتعلق بها، وكانت شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادة الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة."[٦]

---

[١] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/ ٦٨٨.

[٢] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج/١٩، ص/٣٧٨-٣٧٩. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج/١٣، ص/١٢٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/١٩، ص/١٧١-١٧٢.

[٣] الطبري، **جامع البيان**، ج/٢٣، ص/٥٢٩.

[٤] محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 1431، ج/٢٥، ٢٥٧.

[٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٢٩، ص/٦٤.

[٦] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب، التفسير الكبير**، ج/٣٠، ص/٦٠٢-٦٠١.

المطلب الرابع أقوال العلماء في وجود الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان

وقد تناول أغلبية كبيرة من العلماء المسلمين في كتبهم مسألة تكوين الإنسان وشخصيته وطبيعته، وفطرته، ووجود الصفات الجبلية الخاصة فيه. وتناولوه خصوصا في موضوع تربية الأطفال وتنميتهم. فالإنسان يختلف بعضهم عن بعض من حيث مزاجهم، وجبلتهم التي خلقوا عليها، وليس كل الناس متساوين في الصفات، فبعض تلك الصفات جبلية تحصل في الفطرة، ويخلق الإنسان بها، وبعضها يحصل بالاكتساب، يكتسبها الإنسان بسعيه. وسنعرض بعض آراء العلماء عن وجود الصفات الجبلية الخاصة للإنسان:

يقول الإمام الغزالي:" إن الناس يختلفون بحسب جبلتهم... إن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح، وبعضها مستصعبة... ويحصل بكمال في الفطرة منحة من الخالق، فكم من صبي يخلق صادقا، سخيا، حكيما، وتارة يحصل بالاكتساب، وذلك بالرياضة، وهي حمل النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب، فمن أراد تحصيل خلق الجود فليتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعاً له".[1]

ونرى بوضوح أن الغزالي تكلم عن وجود الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان، يعني أن بعض الناس يخلق سخيا جوادا بخلقته، وبعض الناس طبعهم سريع القبول للصلاح. فهذه الصفات الجبلية الممدوحة الخاصة عند الإنسان منحة من الله تعالى لبعض الناس.

لكن يقرر ابن خلدون أن تأثير البيئة في تكوين شخصية الإنسان وجبلته أقوى من تأثير الصفات الجبلية التي تكون موجودة من الخلقة؛ إذ يقول: "إن الإنسان ابن عوائده، ومألوفه، لا ابن طبيعته، ومزاجه. فالذي ألفه من الأحوال حتى صار خلقا، وملكة، وعادة، تنزل منزلة الطبيعة، والجبلة." ومع ذلك لا ينكر ابن خلدون الصفات الجبلية في الإنسان، ويذكر ضمن ذلك الفروقات بين أهل المدن، وأهل البادية من حيث مزاجهم وسجيتهم، فأهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك: أن أهل الحضر أمرهم في المدافعة عن أموالهم، وأنفسهم إلى واليهم، والحامية التي تولت حراستهم، وأما أهل البدو فهم بعيدون عن الحامية، والأسوار والأبواب، فلذلك يقومون بالمدافعة عن أنفسهم ولا يثقون فيها بغيرهم، ويحملون السلاح، وبذلك صارت الشجاعة سجية وخلقا لهم.[2] فالعوامل البيئية والاجتماعية عند ابن خلدون أكثر فعالية من العوامل الوراثية والجبلية.

---

[1] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥) هـ، **إحياء العلوم الدين**، دار المعرفة بيروت – لبنان، ١٩٨٢م، خ/٣، ص/٥٨-٥٩.

[2] ابن خلدون، ولي الدين عبد الرمان بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، دار اليعرب، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م، ج/١، ص/ ٢٥١.

نعم تأثير البيئة مهم جدا في إنشاء شخصية الإنسان وتربيته وأساس في حياته، لكن العوامل الوراثية والجبلية الخلقية من أهم الدوافع التي تؤثر في شخصية الإنسان، ولا يستطيع أحد أن ينكر مكانتها.

وقد تناول الراغب الإصفهاني في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة بالتفصيل الفرق بين الصفات الجبلية الخاصة، وبين الصفات المكتسبة، وبين أن العوامل التي ترجع إلى عادة الإنسان، وكسبه، تخرج ما في خلقة الإنسان من الصفات الجبلية الخاصة؛ إذ يقول: "وليس للعادة فعل إلا تسهيل خروج ما هو بالقوة في الإنسان إلى الفعل... فالسجية فعل الخالق عز وجل، والعادة فعل المخلوق، ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق، لكن ربما يقوي العادة قوة محكمة حتى تعد سجية، وبهذا النظر قيل: العادة طبيعة ثانية... بعض الناس جبلوا جبلة سريعة القبول، وبعضهم جبلوا جبلة بطيئة القبول، وبعضهم في الوسط".[1]

يعني أن الناس مختلفون بالصفات الجبلية التي خلقوا عليها، وقد منحهم الله هذه الصفات الجبلية الخاصة، ولا يمكن تغييرها، لكنه يستطيع أن يخرج ما في نفسها من الصفات الجبلية بالعادة والسعي والرياضة والتدريب وصرف الجهد الكبير لذلك، والناس متفاوتون في قبول الخلق بالعادة فبعضهم يقبلون الخلق والتغير بسرعة وبعضهم لا يقبلون ذلك إلا ببطء.

ويدل على وجود الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان أنه في البيت الواحد يمكن أن يوجد أخوان ينشآن من البيئة ذاتها وفي الجو ذاته، يكون أحدهما كريماً والآخر بخيلاً؛ أو يكون أحدهما شجاعاً، والآخر جباناً؛ أو يكون أحدهما منفتحاً على الناس، والآخر منطوياً على نفسه؛ أو يكون أحدهما مؤثراً يتعاون مع الآخرين، ويبذل لهم من نفسه، والآخر أنانياً لا يحب إلا نفسه ؛ أو يكون أحدهما محباً للسلطان، والآخر خانعاً للسلطان إلى آخر تلك الفروق التي تفرق بين مزاج إنسان، وإنسان ، وبين شخصية إنسان وإنسان؛[2] لأن الصفات الجبلية الخاصة للطفل الذي يولد بها بوراثاته من أبويه وأهله توجد فيه، وتؤثر في تكوين شخصيته، قبل تأثير البيئة والشارع والمدرسة.

---

[1] ينظر: الراغب الإصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، ٥٠-٥١.

[2] ينظر: قطب، **منهج التربية الإسلامية**، ج/٢، ص/٣٢٥.

وقد تكلم شاه ولي الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة عن اختلاف الناس في جبلتهم، وخلقهم على طبقات شتى، وقدم أدلة على ذلك من القرآن الكريم، وهو آية الشاكلة التي تحدثنا عنها من قبل، **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/ ٨٤] أي طريقته الذي جبل عليها.[١]

وكذلك يصرح العز بن عبد السلام بوجود الصفات الجبلية الخاصة، ويقسمها إلى الممدوحة، والمذمومة، وأن الله تعالى خلق في الناس من الأخلاق الحسنة التي تدعو إلى ما تدعو إليه الشرائع وتحث عليه كرام الطبائع، لينتفعوا بذلك في مراحل فترات الرسل، وأن الله امتحن قوما بأن خلق فيهم أوصافا لئيمة، محنة لهم.[٢] فمن أجاب هذه الصفات إلى ما دعت إليه الشريعة، كان مثابا على إجابته، جامعا لصفتين حسنين؛ إحداهما جبلية الأخرى كسبية.[٣]

يعني أنه توجد صفات جبلية عند الإنسان، لكن هذه الصفات لاتنفع، ولا تثمر إذا لم يكن كسب الإنسان في الاستفادة من هذه الصفات. وهذا قريب مما قاله الراغب الإصفهاني، حيث إنه قال إن كسب الإنسان، وعادته تسهل خروج الصفات الجبلية الخاصة الموجودة بالقوة في الانسان إلى الفعل.

ويقسم الشاطبي الصفات إلى قسمين؛ ما كان نتيجة عمل، وما كان فطريا، ولم يكن نتيجة عمل. ومثل للقسم الثاني بالشجاعة، والجبن، والحلم، والأناة، بدليل ما كان في أشج عبد القيس،[٤] وكل هذه الصفات هي الصفات الجبلية الخاصة التي لا توجد في كل إنسان.

ويقول ملا على القاري ما معناه: أن كل الناس خلق فيهم الأخلاق جميعها، وكل الصفات صالحة بأصلها أن تكون حميدة وأن تكون ذميمة، وإنما تكون الصفات محمودة إذا كانت متوسطة بين الإفراط والتفريط؛ مثلا السخاوة صفة معتدلة بين الإسراف والبخل، وكذا الشجاعة بين التهور والجبن، وكذا التواضع بين الضعة والتكبر، والغالب على الناس عادة عدم الاعتدال... ولذا قيل: الإرادة ترك العادة "[٥]

ويفهم من كلام ملا القاري أن الصفات الجبلية جميعها موجودة في كل الناس، لكنها بنسب متفاوتة، ومن وصل إلى الاعتدال في الصفات الموجودة فيها فيحمد على ذلك. وهذا القول لا

---

[١] شاه ولي الله الدهلوي، شيخ أحمد بن عبد الرحيم، **حجة الله البالغة**، دار ابن كثير، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠ م، ج/١، ص/١٠٨-١٠٩.

[٢] ابن عبد السلام، عزالدين عبد العزيز، **القواعد الكبرى**، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٦ م، ج/١، ص/١٦٤-١٦٥.

[٣] المصدر السابق، ص/١٩٢-١٩٣.

[٤] الشاطبي، ابراهم بن موسى اللخمي الغرناطي المالي، **الموافقات**، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، ج/١ ٣٣٨-٣٣٩.

[٥] الملا الهروي القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين (ت ١٠١٤هـ)، مرقاة **المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج/١، ص/٢٠١.أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة،باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث:٤٦٨١؛ وإسناده حسن.

ينقض الأقوال التي تقول إن الناس مختلفون في صفاتهم الجبلية، لأنه يقول إن الناس مختلفون في نسب الصفات الموجودة فيهم، وإن لم يكونوا مختلفين في وجود أصل الصفات فهي موجودة في جميع الناس لكنها بنسب متفاوتة.

وقد رأينا أن علماء الإسلام من مختلف المذاهب، ومختلف الاختصاصات صرحوا بوجود الصفات الجبلية الخاصة، وأن كل إنسان جبل على صفة خاصة فيه يختلف بها عن غيره من الناس، والناس متفاوتون في الصفات. ونكتفي بهذا القدر في هذا المطلب، وسندرس في المباحث القادمة أثر هذه الصفات على تكوين شخصيته، وهل هذه الصفات يمكن تغييرها أم لا، وما مدى أثرها في تكليف الإنسان وأعماله وأثره في الثواب، والعقاب.

المبحث الثاني طبيعة الإنسان وخلقته والصفات الفطرية العامة

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول طبيعة الإنسان الروحية والمادية

المطلب الثاني خلقة الإنسان بين الخير والشر

المطلب الثالث الصفات الفطرية في النفس الإنسانية

المطلب الأول طبيعة الإنسان الروحية والمادية

فالإنسان مركب من جسم، ونفس أي روح، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ]** [سورة ص/٧١-٧٢] فالإشارة بالروح إلى النفس، وإضافته تعالى الروح إلى ذاته دون الطين تشريف للروح على الجسم.[١]

فالإنسان يتكون من طين الأرض، تتمثل في الجسد، ومن روح الله تتمثل في الوعي، والإدراك، والإرادة، وتتمثل في كل القيم، والمعنويات التي يمارسها الإنسان. فالخير، والبر، والإيمان بالله وبالمثل العليا، والعمل على تحقيقها في واقع الحياة، كل ذلك نشاط روحي، أو نشاط قائم على قاعدة روحية، وكل ذلك أمور معنوية لا تدركها الحواس، وإنما تدرك آثاره الظاهرة في الواقع المحسوس.[٢]

وعندما ننظر في كتاب الله تعالى، نرى أن العنصرالمعنوي تارة يسميه روحاً، وتارة أخرى يسميه نفساً. فالروح إذا اتصلت بالجسد لا يقال لها روح، وإنما تسمى نفساً، فإذا انفصلت الروح عن الجسد تسمى روحاً؛ قال تعالى: **{وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيلاً}** [سورة الإسراء/٨٥] وقد أسند الله جل وعلا للنفس القول والعلم؛ قال تعالى: **{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}** [سورة الزمر/٥٦]، وقال تعالى: **{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [سورة السجدة/١٧].

---

[١] الراغب الأصفهاني، **الذريعة إلى المكارم الشريعة**، ص/١٩.

[٢] ينظر: محمد قطب، **دراسات في النفس الإنسانية**، دار الشروق، الطبعة العاشرة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، ص/٤٣ – ٤٤.

وأما الجسد: فهو العنصر الثاني من مكونات الإنسان، وهو ما سمي بالعنصر الأرضي، نسبة إلى مادة تكوينه، ومصدر تغذيته، فمنها خلق، وعليها يعيش، وإليها يعاد، ومنها يخرج للحساب؛ قال تعالى: **{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}**[1] [سورة طه /٥٥]. كما أن فيها تغذيته، ومادة نمائه، ومسببات بقائه؛ قال تعالى: **{وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ}** [سورة يس/٧٢].[1]

إذن فالإنسان هو كيان واحد ممتزج مترابط الأجزاء، وهو الكائن الوحيد الذي لديه روح وعقل وجسد معًا، كل هؤلاء الثلاثة يعملون بالتنسيق مع بعضهم البعض، إنه ليس جسماً وحده مستقلاً بذاته لا علاقة له بالروح أو العقل، وليس عقلاً منفصلاً مستقلاً بذاته لا يرتبط بجسم أو روح، وليس روحاً وحدها هائمة بلا رابط من عقل أو جسم، فحياة الإنسان المادية لا تنفصل عن حياته العقلية وحياته الروحية. فمشاعره الروحية لا تنفصل عن واقعه المادي، وهو يصل من هذا المزج إلى نتائج معينة هي التي تحدد صفات الإنسان الفطرية والجبلية أو صفاته المكتسبة.[2]

فالإنسان خلق بالصفات الفطرية العامة، والجبلية الخاصة، واستعدادات مختلفة فيها سلبي وفيها إيجابي، ترجع إلى جانبه المادي والروحي، فيجب على الإنسان أن يعرف غاية وجوده في الحياة، وأن الله تعالى أنعم عليه وشرفه، وخلقه نفخة من روحه، ومنح له عقلا، وجسدا وروحا، وبذلك جعله خليفة على الأرض؛ يقول الله **تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}** [سورة البقرة/٣٠] وسخر المخلوقات كلها لأمره؛ قال تعالى: **{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [سورة الجاثية/١٣] وخلقه في أحسن الخلقة **{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِيٓ اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}** [سورة التين /٤] وذلك ليستعمل الإنسان عقله وروحه وجسده بالتوازن من أجل الله؛ لكي لاينزل مرتب أسفل السافلين؛ قال تعالى: **{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ اَسْفَلَ سَافِلِينَ}** [سورة التين/٥]، وأن ينمي فيه الصفات الإيجابية، ويربي الصفات السلبية، فإذا تركت هذه الصفات بحالها اختل التوازن.

لقد أخبرنا القرآن أن الله تعالى خلق الإنسان من مادة وروح في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكون من هذا المزيج، الإنسان وشخصيته، وقد يحدث صراع في شخصية الإنسان فتجذبه أحياناً حاجاته وشهواته البدنية، وتجذبه أحياناً حاجاته وأشواقه الروحية. ويشعر الإنسان بالصراع في نفسه بين هذين الجانبين من شخصيته. ويشير القرآن إلى حالة الصراع النفسي بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان بقوله: **{فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ،**

---

[1] السبيعي، علي بن مثيب بن دغيم، مجلة التربية، **الطبيعة الإنسانية في القرآن**، جامعة الأزهر، ص/ ٢١٢.

[2] ينظر: **قطب**، منهج التربية **الإسلامية**، ج/١، ص/ ٢٤-٣٠.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [سورة النازعات/ ٣ إلى ٤١]. [١]

المطلب الثاني خلقة الإنسان بين الخير والشر

هناك مواقف مختلفة واتجاهات معاكسة عند الفلاسفة والحكماء؛ بعضهم يرجح جانب الشر في الإنسان، ويقول بأن الأساس في الإنسان هو الشر، وبعضهم على العكس من ذلك يرجح جانب الخير في الإنسان، ويقول بأن الأساس في الإنسان هو الخير.

ويذكر ابن مسكويه ثلاث اتجاهات في كون الخير أو الشر في الإنسان هو الأساس:

فالاتجاه الأول يقول: إن الناس كلهم يخلقون أخيارا بالطبع، ثم بعد ذلك يصيرون أشرارا بمجالسة أهل الشر، والميل إلى الشهوات الرديئة التي لا تقمع بالتأديب، فينهمك فيها، ثم يتوصل إليها من كل وجه، ولا يفكر فى الحسن منها والقبيح.

والاتجاه الثاني يقول: إن الناس خلقوا من الطينة السفلى، وهي كدر العالم، فهم لأجل ذلك أشرار بالطبع، وإنما يصيرون أخيارا بالتأديب والتعليم؛ إلا أن فيهم من هو فى غاية الشر لا يصلحه التأديب، وفيهم من ليس في غاية الشر، فيمكن أن ينتقل من الشر إلى الخير بالتأديب من الصبا، ثم بمجالسة الأخيار وأهل الفضل.

الاتجاه الثالث -وهو رأي جالينوس- يقول: إن الناس فيهم من هو خيّر بالطبع، وفيهم من هو شرير بالطبع، وفيهم من هو متوسط بين هذين.[٢]

وأما موقف القرآن من خلقة الخير والشر في الإنسان-وهو الموقف الراجح الذي يجب المصير إليه-: فهو أن الإنسان فيه جانب الخير وجانب الشر، وهو ينظر إلى النفس من ناحيتين: أولاً فيها فطرة طيبة، تميل إلى الخير، وتسر بالوصول إليه، وتحزن من ارتكاب الشر، وثانياً فيها نزعات تميل إلى الشر، وتبعدها عن سواء السبيل، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر.[٣] فهاتان الناحيتان موجودتان في الإنسان، تتنازعان قيادته، ومصير الإنسان معلق بالناحية التي يستسلم لها، كما جاء هذا المعنى في قوله تعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾}** [سورة الشمس/ ٧إلى ١٠]

---

[١] حيدر، الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، ص/ ٢٦٥-٢٦٦.

[٢] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص/٢٦.

[٣] الغزالي، محمد، **خلق المسلم**، ١٤٠٨ه- ١٩٨٧ م، دار الريان للتراث، القاهرة، ص/٢٢.

لكن الله تعالى مع خلق الشر غلّب جانب الخير، والميل إلى الدين في الإنسان؛ وقد وصف الإسلام نفسه بأنه دين الفطرة الخالصة من الشوائب؛ قال الله في كتابه العزيز: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ۖ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سورة الروم/٣٠]

فهذه الآية تفيد أن الإنسان يملك دافعا نفسيا له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان، وهو دافع التدين؛ فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون، وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالباً منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها، وذلك واضح في سلوك الإنسان في جميع عصور التاريخ، وفي مختلف المجتمعات الإنسانية. غير أن تصور الإنسان لطبيعة الآله وطريقة عبادته قد يختلف تبعاً لمستوى تفكيره ودرجة تطوره الثقافي، غير أن هذه الاختلافات في تصور الإنسان إنما هي اختلافات في طريقة التعبير عن ذلك الدافع الفطري للتدين الموجود في أعماق النفس البشرية، وليس ذلك ينشأ من الاختلاف الحقيقي في فطرته، فالناس جميعا مجبولون على تلك الفطرة وحب التدين، والميل إلى عبادة الله تعالى.[١]

فكذلك القرآن ساعد الإنسان على إجلاء هذه الفطرة الطيبة عند الإنسان، ومع ذلك نبهه إلى الصفات والطبائع الشريرة في الإنسان؛ ليعمل الإنسان على إخضاعها وتربيتها ويجعلها خاضعاً، لتصرف العقل الرشيد، ومنطق الفطرة الطيبة.[٢]

وفي ذلك يقول ابن عاشور باختصار: إن الإنسان جعلت فيها قوى متضادة الآثار يتصرف العقل والإدراك في استخدامها كما يجب في حدود المقدرة البدنية التي أعطيها، فالله جعل للإنسان عقلا وحكمة إن هو أحسن استعمالهما حسنت وتهذبت صفاته، فإذا أصبح الإنسان بشدة تلبسه ببعض النقائص فكأنه جبل عليه فذلك لأنه فرط في إراضة نفسه على ما فيها من جبلة الخير، وأرخى لها العنان إلى غاية الشر، وفرط في نصائح الشرائع والحكماء.[٣]

لكن الناس ليسوا متساوين في قوة الخير والشر، فقد يكون الخير أو الشر راجحا عند إنسان، وذلك بفعل الصفات الجبلية الخاصة عنده، وقد يرجع ذلك إلى عوامل أخرى مثل الوراثة والبيئة وغير ذلك مما سنذكره في مبحث العوامل، فإن الأشخاص لا يجدون نفس اللذة بالنسبة إلى

---

[١] ينظر: نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص/٤٩ – ٥٠.

[٢] ينظر: الغزالي، خلق **المسلم**، ص/٢٣-٢٥

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/١٧، ص/١٦٦ إلى ١٦٨.

كل الرذائل، فلكل إنسان نقطة ضعفه الصغيرة، ومن هنا يمكن مقاومة بعض النقائص في الإنسان بصورة أقل شدة مما يقاوم به بعضها الآخر.[1]

وبناء على ذلك فالإنسان خلقت فيه صفات فطرية بما فيها صفات طيبة وصفات مذمومة، وبعضها ترجع إلى خلقته المادية، وبعضها ترجع إلى خلقته الروحية، وخلق فيها صفات جبلية خاصة في بعض الناس دون غيرها. والفرق بين الصفات الفطرية العامة والجبلية الخاصة، أن بعض الصفات الفطرية هي التي تشكل أساس الصفات الجبلية عند الإنسان غالباً، وذلك مثل البخل فالبخل موجود في فطرة الإنسان لكنه يقوى في البخيل المطبوع على البخل، ويصير صفة جبلية خاصة به، والبخل كصفة فطرية موجود في السخي أيضا لكنه بدرجة أقل. يعني قد تتحول الصفات الفطرية إلى صفات جبلية خاصة بعوامل عديدة منها الوراثة، والعقل، والهوى، والبيئة. فالعقل والقلب مثلا يقويان في الإنسان جانب الخير والصفات الحميدة، فجانب الخير في الإنسان ينمو ويتطور باتباع العقل والقلب، وأما الهوى والنفس الأمارة بالسوء يقوي في الإنسان جانب الشر والصفات المذمومة في الإنسان، فجانب الشر فيه فيكبر ويعظم باتباع الهوى، فهذا موضوع المباحث التالية.

المطلب الثالث الصفات الفطرية في النفس الإنسانية

كما تقدم من قبل أن الصفات الجبلية نوعان: النوع الأول: وهي الصفات الجبلية العامة التي توجد في جميع الناس، ويشترك الناس فيها في طبيعتهم، وتسمى صفات فطرية، والنوع الثاني الصفات الجبلية الخاصة، وهي الصفات الموجودة في كل إنسان بناء على طبائعهم المختلفة.

وقد بين القرآن الكريم، أن الله تعالى خلق في الإنسان بعض الصفات الفطرية فيها الخير والشر؛ منها العجل، والغضب، والحسد، والطموح وغير ذلك سنذكرها بالتفصيل. فهذه الصفات الفطرية أصلها موجود في كل إنسان عند الولادة، لكن هذه الصفات يتفاوت مقدارها من إنسان لآخر وذلك بتأثير عوامل أخرى مثل الوراثة وغيرها، نذكرها في المباحث التالية. وقد تختلف تلك الصفات بحيث يختص الإنسان بها دون غيرها وتسمى صفات جبلية خاصة، وهي شاكلة الإنسان، والتي هي موضوع بحثنا. فكل هذه الصفات سواء كانت خيرا أو شرا تساعد الإنسان في جميع مراحل حياته، فهي صفات مفيدة ومهمة يستطيع الإنسان بها أن يحافظ على حياته، ويعطي بناء

[1] ينظر: دراز، محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن**، مؤسسة الرسالة- دار البحث العامية، ٢٠٠٥-م، ص/ ٥٩٦.

على حاجته لتطوير نفسه، ومع ذلك فإن القرآن يضع بعض التدابير في استخدام هذه الصفات ولكل منها المسؤوليات المفروضة بشكل منفصل.

وللتعرف على هذه الصفات التي جُبل الإنسان عليها، وهي موجودة في أساس فطرته، سأتناولها بمعناها اللغوي، واستعمالاتها في القرآن. وقد اخترت من تلك الصفات أهمها، وما يكون الغالب على الناس، ولم أستقص كل الصفات الجبلية.

١- صفة الميل إلى العدوان

وقد اختلف علماء النفس والمحللون النفسيون في صفة الميل إلى العدوان في الإنسان، هل هو دافع فطري أم مكتسب؟ فذهب بعضهم مثل فرويد Freud ولورنز Lorenz إلى اعتباره دافعاً فطرياً. ولم يوافق كثير من علماء النفس الآخرين على اعتبار العدوان دافعاً فطرياً في الإنسان، إذ أن ذلك يعطي فكرة سلبية ومتشائمة عن الطبيعة الإنسانية، وبينت الدراسات التجريبية الحديثة أن السلوك العدواني يظهر عند الأطفال الصغار إذا قيدت حركاتهم البدنية مما يسبب لهم حالة إحباط ، فيظهر نتيجة لذلك السلوك العدواني. لكن الرأي الذي يقول به كثير من علماء النفس المحدثين يتفق مع ما جاء في القرآن من أن في طبيعة الإنسان استعداداً لكل من الخير والشر، كما في قوله تعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا}** [سورة الشمس/ ٧-٨]وفي قوله تعالى **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [سورة البلد/١٠]** إن اختيار الإنسان لطريق الخير، والإحسان، ومعاملة الناس بالحسنى، أو اختياره لطريق الشر، والظلم والعدوان، إنما يرجع إلى كثير من العوامل كنوع التربية التي يتلقاها الفرد، والظروف الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها، وخبراته وتجاربه الشخصية.[١]

فالميل إلى العدوان، في حقيقته، يظهر في صفة الغضب التي هي صفة فطرية في الإنسان وتعطي الإنسان قوة الدفاع الفطرية أمام التحديات والخطر الذي يهدده،[٢] لكنها تظهر في الناس بدرجات متفاوتة، وذلك بعوامل أخرى، مثل البيئة واستخدام العقل أو اتباع الهوى. فالذي يستخدم عقله ولا يوجه عدوانه إلا لأعداء الله فهو ممدوح، وقد مدح القرآن المؤمنين بكونهم أشداء على الكفار، **{وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}** [سورة الفتح/٢٩]، وكذلك اعتبر الإنسان عدوا للشيطان، فقال تعالى: **{قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ}** [سورة الأعراف/٢٤]. والذي يوجه

[١] ينظر: نجاتي، **القرآن وعلم النفس**، ص/ 48-47.

[٢] سايار، كمال، الحالة الروحية، دار تيماش، إستانبول، ٢٠٢٢، ص/63. SAYAR, KEMAL, RUH HALİ, TİMAŞ YAYINLARI, İSTANBUL, 2022.

عدوانه على خلق الله ويؤذيهم فهذا مذموم، كما قال تعالى: **{لَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** [سورة البقرة/١٩٠].

٢- صفة الضعف:

معنى الضعف لغة: هو خلاف القوة، وقيل: الضعف، بالضم، في الجسد؛ والضعف، بالفتح، في الرأي والعقل، وقيل: هما معا جائزان في كل وجه.[١]

معنى الضعف في القرآن: يطلق الضعف على الضعف الحسي والمعنوي، وقد جاء وصف الإنسان بالضعف في قوله تعالى: **(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)** (نساء: ٢٨) **وقوله تعالى: {اَللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}** [سورة الروم/٥٤]

وقد جاء في أغلب التفاسير أن معنى الضعف في القرآن هو ضعف الصبر عن الشهوات، وعدم قهر هواه وشهوته، يعني فالإنسان ضعيف لا يصبر عن الشهوات، ولا يتحمل مشاق الطاعات، أو بمعنى أنه خلق {مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ} [سورة السجدة/٨]،[٢] والمقصود في هذه الآية هو الصفة الموجودة في الإنسان عموما، وهو ضعفه في كل شيء.[٣]

إذن فالضعف صفة فطرية في الإنسان فهو ضعيف في خَلقه وفي خُلقه، ويميل إلى الشهوات بطبعه، ولا يتحمل المشاق في الطاعات بطبعه، ولا يصبر على المصائب والآلام بطبعه، فلذلك ينبغي على الإنسان أن يقاوم هذا الضعف الموجود في فطرته فيقاوم الشهوات التي لا تحل له، ويصبر على الطاعات والمصائب، ويعرف ضعفه أمام الله تعالى، فإذا لم يقاوم الضعف الموجود في فطرته فإن ذلك سيؤدي به إلى المهالك. وسبب خلق الضعف في الإنسان هو ابتلاؤه، فإنه إذا كان قويا بطبعه أمام مقاومة الشهوات وفعل الطاعات فلا يبقى معنى للابتلاء. [٤]

---

[١] ابن فارس، مقاييس **اللغة**، ج/٣، ص/ ٣٦٢؛ ابن منظور، لسان **العرب**، ج/٩، ص/ ٢٠٣.

[٢] الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ، ج/٦، ص/٤٦٦. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج/٢، ص/٧٠.

[٣] الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ)، الجواهر **الحسان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ، ج/٢، ص/٢٢٣. الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج/٦، ص/٦٢٤. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧ هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ج/١٠، ص/٢٣٦.

[٤] وقد جاء في تفسير الرازي: "وخلق الإنسان ضعيفا: والمعنى أنه تعالى لضعف الإنسان خفف تكليفه، ولم يثقل والأقرب أنه يحمل الضعف في هذا الموضع لا على ضعف الخلقة، بل يحمل على كثرة الدواعي إلى اتباع الشهوة واللذة، فيصير ذلك كالوجه في أن يضعف عن احتمال خلافه. وإنما قلنا: إن هذا الوجه أولى، لأن الضعف في الخلقة والقوة لو قوى الله داعيته إلى الطاعة كان في حكم القوي

٣- صفة الظلم والكفران والجهل:

وقد ذكر في آيات كثيرة، وصف الإنسان بالظلم وبالكفران وبالجهل، قال تعالى: **{وَاٰتٰىكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَاَلْتُمُوهُ وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا اِنَّ الْاِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}** [سورة إبراهيم/ ٣٤] وقال تعالى: **{اِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَالْجِبَالِ فَاَبَيْنَ اَنْ يَحْمِلْنَهَا وَاَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْاِنْسَانُ اِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}** [سورة الأحزاب/72]. {فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [سورة الفرقان/ ٥٠] **{وَهُوَ الَّذِي اَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ اِنَّ الْاِنْسَانَ لَكَفُورٌ}** [سورة الحاج/٦٦] **{وَلَئِنْ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ اِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ}** [سورة هود/ ٩] **{فَاِنَّ الْاِنْسَانَ كَفُورٌ}** [سورة الشورى/٤٨]

فالظلم لغة: هو وضع الشيء في غير موضعه، وفي الاصطلاح عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد. والظلم: الاعتداء على حق الغير وأريد به في قوله تعالى **{اِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}** الاعتداء على حق الله الملتزم له بتحمل الأمانة، وهو حق الوفاء بالأمانة.[١]

فالظلم له ثلاثة أنواع: الأوّل: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، كما في قوله تعالى: **{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** [سورة لقمان/١٣] وهو الشرك؛ والثاني: ظلم بينه وبين الناس، كما في قوله تعالى: **{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ}** [سورة الشورى/ ٤٢] والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، كما في قوله تعالى: **{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ}** [سورة فاطر/ ٣٢]. وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس كما قال: **{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** [سورة النحل/ ٣٣].[٢] وكل هذه المعاني موجودة في طبيعة الإنسان وجبلته فالإنسان يميل إلى ظلم غيره وإلى ظلم نفسه. فالظلم، طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي، إلا من هداه الله.[٣]

والقوي في الخلقة والآلة إذا كان ضعيف الدواعي إلى الطاعة صار في حكم الضعيف، فالتأثير في هذا الباب لضعف الداعية وقوتها، لا لضعف البدن وقوته، هذا كله كلام القاضي، وهو كلام حسن، ولكنه يهدم أصله، وذلك لما سلم أن المؤثر في وجود الفعل وعدمه، قوة الداعية وضعفها فلو تأمل لعلم أن قوة الداعية وضعفها لا بد له من سبب، فإن كان ذلك لداعية أخرى من العبد لزم التسلسل، وإن كان الكل من الله، فذاك هو الحق الذي لا محيد عنه، وبطل القول بالاعتزال بالكلية والله أعلم.؟؟؟؟

[١] الجرجاني، **التعريفات**، ص/١١٤؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٢٢ ص/١٢٩-١٣٠.

[٢] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص/٥٣٧ – ٥٣٨.

[٣] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص/٤٢٥.

وأما الجهل لغة: فهو بمعنى نقيض العلم،[1] وهو خلو النفس من العلم،[2] واعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه.[3] والجهل: انتفاء العلم بما يتعين علمه، والمراد به في قوله تعالى: **{إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}** [سورة الأحزاب/٧٢] انتفاء علم الإنسان بمواقع الصواب فيما تحمل به.

وأما معنى قوله تعالى **{إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}** [سورة الأحزاب/٧٢] أي ظلوما لنفسه، حين عصى ربه، وجهولا بعاقبة ما تحمل بأمر الله، وما احتمل من الأمانة، ولا يدري ما العقاب في ترك الأمانة.[4] يعني أنه قصر في الوفاء بحق ما تحمله، إما عمدا وقد عبر عنه بوصف ظلوم، وإما عن تقصير وتفريط في الأخذ بأسباب الوفاء، وقد عبر عنه بوصف جهولا. أي أن تلك الصفات موجودة في فطرته، أي في طبعه الظلم، والجهل فهو معرض لهما ما لم يعصمه وازع الدين، فبسبب كون الإنسان مطبوعا على الظلم والجهل أضاع كثيرا من الناس الأمانة التي حملها.[5]

وأما الكفران لغة: فهو الستر والتغطية، ضد الإيمان، سمي كفرا لأنه تغطية للحق. وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها. وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى **{فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ}** [سورة الأنبياء/ ٩٤]. وأعظم الكفر: جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة. ويستعمل الكفران في جحود النعمة أكثر، والكفر يستعمل في إنكار الدين أكثر، والكفور يستعمل في جحود النعمة وإنكار الدين، قال: **{فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا}** [سورة الإسراء/٩٩].[6]

والمقصود من صفة الكفر في الإنسان، هو ما يوجد في الإنسان من كفران النعمة، وقلة ما يقوم بأداء الشكر، والقرآن وصف الإنسان بالكفور، ولكنه مع ذلك قال **{وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ}** [سورة الحجرات /٧]، فما وجه التوفيق بين ذلك؛ والجواب على ذلك أن صفة الكفر في الإنسان تنبيه على ما ينطوي عليه الإنسان من كفران النعمة، وقلة ما يقوم بأداء الشكر، وعلى هذا قوله **{قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}** [سورة عبس/ ١٧] ولذلك قال: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سورة سبأ/ ١٣].[7] فالإنسان فيه صفة كفران النعمة، لكنه يستطيع تربية نفسه وإراضتها، فإذا ربى نفسه الشكر على

---

[1] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/ ١، ص/ ٤٨٩.

[2] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص/.٢٠٩

[3] الجرجاني، **التعريفات**، ص/ ٨٠.

[4] البغوي، **معالم التنزيل**، ج/٦، ص/٣٨١.

[5] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٢٢ ص/١٢٩-١٣٠.

[6] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/١، ص/ ١٩١؛ الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص/٧١٦.

[7] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص/٧١٦.

النعم والإيمان، فإن الله تعالى يزيد فيه الإيمان ويحبب إليهم الشكر، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

فالكفران وإن كان صفة فطرية عند الإنسان؛ إلا أن الله تعالى هداه السبيل إلى كونه شاكراً؛ كما في قوله تعالى **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}** [سورة الإنسان/٣] فهذا تنبيه على أنه عرفه الطريقين؛ كما قال تعالى **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** [سورة البلد/١٠] فمن سالك سبيل الشكر، ومن سالك سبيل الكفر.

وفي معنى صفة الكفران **صفة الكند:** يقول الله تعالى: **{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}** [سورة العاديات/٦] الكند لغة: يدل على القطع لأنه يقطع الشكر، ويكفر لنعمة الله تعالى.[١] فالكنود: وصف من أمثلة المبالغة وهو الكفور الجحود لنعم الله. فالإنسان طبع على كفران النعمة، والمراد به كل الناس وهذه الصفة موجودة في كل إنسان على تفاوت فيها؛ لأنه صفة ينشأ عن إيثار المرء نفسه، وهو أمر موجود في الجبلة لا تدفعه إلا المراقبة النفسية وتذكر حق غيره، ولذلك قد ينسى حق الله، وقد يغفل عن مقاومته لأنه يشتغل بإرضاء جبلته. والناس متفاوتون في تمكن هذا الخلق منهم، وعزائمهم كذلك متفاوتة في استطاعة مغالبة هذه الصفة.[٢]

٤- صفة القتر:

القتر في اللغة: التقصير في الإنفاق، وتقليل النفقة، وهو ضد الإسراف، قال تعالى **{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا}** [سورة الفرقان/ ٦٧]. ومقتر: بمعنى فقير، قال تعالى **{وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ}** [سورة البقرة/٢٣٦] وقوله تعالى **{وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}** [سورة الإسراء/١٠٠] أي بخيلا مضيقا منوعا. وقوله **{وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}** [سورة الإسراء/ ١٠٠]، تنبيه على ما جبل عليه الإنسان من البخل، كقوله تعالى: **{وأحضرت الأنفس الشح}** [سورة النساء/١٢٨].[٣]

واختلف في هذه الصفة كما هو الأمر في الصفات الفطرية المذمومة الأخرى: هل هي عامة للناس جميعا، أم هي خاصة بالمشركين فقط؛ على قولين: أحدهما أنها نزلت في المشركين

---

[١] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/٥، ص/ ١٤٠؛ الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن، ص/**٧٢٧.

[٢] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج/٥، ص/٢٩٦؛ فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج/٣٢، ص/٢٦١؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج/٢٠، ص/١٦٠؛ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١، ١٤١٥ هـ، ج/١٥، ص/٤٤٥؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٣٠، ص/٥٠٢-٥٠٣.

[٣] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص/٩؛ ابن كثير، تفسير **القرآن العظيم**، ج/٥، ص/١١٣؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٠، ص/٣٣٥.

خاصة، والثاني: أنها عامة.[1] لكن الراجح أنها عامة في الناس جميعاً؛ يقول ابن كثير: "والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه، فإن البخل والجزع والهلع صفة له، كما قال تعالى: **{إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢)}** [سورة المعارج/ ١٩- ٢٢]"[2]

وقد أعلم الله تعالى في قوله تعالى **{قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ}** [سورة الإسراء/١٠٠] أن الإنسان لو ملك خزائن الأرزاق لأمسك شُحَّ وبُخْلاً، وهذا جواب لطلب المشركين حيث قالوا: **{لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}** [سورة الإسراء/٩٠] وطلبوا أن يكثر الله مالهم ويتسع عيشهم، فأعلمهم الله أنهم لو ملكوا الكثير لبخلوا؛ لأنهم جبلوا على القتر والبخل، والبخيل لا ينفعه كثرة المال.[3]

ويقرر الرازي أن الأصل في الإنسان البخل، لأنه خلق محتاجا، والمحتاج لا بد أن يحب الأمور التي يدفع بها حاجته، وأن يمسكه لنفسه ويبخل به، إلا أنه قد يجود الإنسان مع وجود صفة البخل فيه لأسباب خارجية.[4]

٥- صفة الجدل:

يقول الله تعالى: **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}** [سورة الكهف/٥٤] والآية فيها تقدير، يعني: فجادلوا فيه، وكان الإنسان أكثر جدلا.[5] فالجدل كما يفهم من هذه الآية وصف فطري في الإنسان، فالإنسان يحب الجدال ويميل إليه.

فالجدل لغة: هو امتداد الخصومة ومراجعة الكلام، والصراع، من إسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة: وهي الأرض الصلبة. فالجدل بدلالة الآية صفة فطرية مغروسة في فطرة الإنسان، يعني كل إنسان عنده هذا الميل إلى الجدل، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، لكن ليس كل الجدل مذموما، فهناك جدل محمود، هو كل جدل أيد الحق.[6]

فالجدال: منه خلق، مذموم ينهى عنه الإسلام، ويكون في خلق المشركين، وقد ذم الله الكافرين بأنهم يجادلون في الباطل، ليغالبوا الحق؛ كما جاء في قوله: **{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا**

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٠، ص/٣٣٥.

[2] ابن كثير، تفسير **القرآن العظيم**، ج/٥، ص/ ١١٣ -١١٤.

[3] الواحدي، التَّفْسِيرُ **البَسِيْط**، ج/١٣، ص/٤٩١.

[4] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج/٢١، ص/٤١٣.

[5] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٥، ص/٣٤٧.

[6] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/١، ص/ .٤٣٣؟؟؟؟

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا} [سورة الكهف/٥٦]، ومنه جدال محمود؛ وقد أمر الله تعالى بالجدال بالتي هي أحسن **{اُدْعُ اِلٰى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ ۚ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهٖ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** [سورة النحل/١٢٥].

ووصف الله سيدنا إبراهيم في قوله تعالى **{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ}** [سورة هود/ ٧٤- ٧٥] فأشار بالثناء على إبراهيم إلى أن جداله محمود. إذن فليس المراد بالإنسان في الآية، الإنسان الكافر، ولا المراد بالجدل الجدل بالباطل فقط، فالجدل الباطل هو المقصود من الآية التي تأتي بعدها في قوله تعالى: **{وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ }** [سورة الكهف/ ٥٦][١]

٦- صفة العجل:

يقول الله تعالى: **{وَيَدْعُ الْاِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْاِنْسَانُ عَجُولاً}** [سورة الإسراء/١١] ويقول تعالى **{خُلِقَ الْاِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}** [سورة الأنبياء/٣٧}

العجلة في اللغة: السرعة خلاف البطء.[٢]وهي طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهي صفة نقص فطرية مذمومة في القرآن، وهي من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن؛ قال تعالى **{سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ}** [سورة الأنبياء/٣٧]. وقال تعالى **{أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}** [سورة النحل/١][٣]

والمقصود من الإنسان هو جنس الإنسان،[٤] فالإنسان بحسب جبلته عجول لا يصبر إلى أن يزول عنه ما يعتريه، والإنسان غير متبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به، وما هو شر جدير بالاستعاذة منه.[٥] يقول القرطبي: **{وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا}** [سورة الإسراء/١١] أي طبعه العجلة، فيعجل بسؤال الشر كما يعجل بسؤال الخير."[٦]

والمقصود من الإنسان في قوله تعالى **{وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا}** [سورة الإسراء/١١] إما آدم عليه السلام، أو جنس الإنسان، والمعنى الأول، راجع إلى المعنى الثاني، لأنا إذا حملنا الإنسان

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٥، ص/٣٤٧.

[٢] ابن منظور، **لسان العرب**، ج/١١، ص/٤٢٥.

[٣] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص/٥٤٨؛ ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج /٤، ص/ ٢٣٧.

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٥، ص/٤٢.

[٥] ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج/٦، ص/٤٤٦.

[٦] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله**، ج/١٠، ص/٢٢٦.

على آدم عليه الصلاة والسلام كان المعنى أن آدم الذي كان أصل البشر لما كان موصوفا بهذه العجلة وجب أن تكون هذه صفة لازمة للكل، فكان المقصود عائدا إلى المعنى الثاني.[1]

ويرجع ابن عاشور صفة العجلة وضعف صفة الصبر في الإنسان إلى مقتضى التفكير في المحبة والكراهية؛ فإذا فكر العقل في شيء محبوب استعجل حصوله بداعي المحبة، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية، ولا تخلو أحوال الإنسان عن هذين. ثم إن أفراد الناس متفاوتون في هذا الاستعجال على حسب تفاوتهم في غور النظر والفكر، ولكنهم مع ذلك لا يخلون عنه.[2]

وأما معنى قوله تعالى: **{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ}** [سورة الإسراء/١١] يعني يدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، بالشر، دعاءه بالخير، أي: كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية... وكان الإنسان عجولا بالدعاء على ما يكره. ويقول ابن عباس: ضجرا لا صبر له على السراء والضراء.[3]

وأما معنى قوله تعالى **{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}** [سورة الأنبياء/٣٧]: فهو استعارة لتمكن هذا الوصف من جبلة الإنسان؛ شبهت شدة ملازمة الوصف للإنسان بكونه مادة لتكوينه؛ وكأن الإنسان مخلوقٌ من العجل لاستعجالِه وقلة صبره؛ تنزيلا لما طُبع عليه من الأخلاق منزلةَ ما طبع عليه من الخلقة. ليفيد بذلك غاية لزومِه له وعدم انفكاكه عنه.[4]

٧- صفة الهلع:

يقول الله تعالى: **{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً}** [سورة المعارج/٢١-١٩]

الهلع في اللغة: الحرص، والجزع، وقلة الصبر، وهو أفحش الجزع.[5] وأما الجزع فمن آثار الهلع، ويأتي على معنى الضجر.[6] والجزع: حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه

---

[1] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج/٢٠، ص/٣٠٥.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٧، ص/٦٨.

[3] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج/٣، ص/١٢٣.

[4] أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج/٦، ص/٦٧.

[5] ابن منظور، **لسان العرب**، ج/٨، ص/ ٣٧٤. الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، ج/٢٢، ص،٢٢٤-٢٢٥.

[6] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٧، ص/١٦٦.

عنه.[1] والجزوع ضد الصبور على الشر.[2] والمنع هو خلاف الإعطاء [3] يقال: رجل منوع ومناع، أي: بخيل.[4] والمراد من الشر والخير في الآية الفقر والغنى أو المرض والصحة، فالمعنى أنه إذا صار فقيرا أو مريضا أخذ في الجزع والشكاية، وإذا صار غنيا أو صحيحا أخذ في منع المعروف وشح بماله ولم يلتفت إلى الناس.[5]

فالهلع طبيعة كامنة في الإنسان تظهر عند شعوره بالنافع والمضار، فهو من طباعه المخلوقة كغيرها من طباعه البشرية؛ فعليه أن يروض نفسه على مقاومة تلك الطبيعة.[6] فالهع غالب على الإنسان، لكن الله تعالى استثنى من غلبة هذه الصفة أصحاب الكمال، فقال: **{إِلَّا الْمُصَلِّينَ}** [سورة المعارج/٢٢]. أي المحافظين على الصلاة، العريقين في هذا الوصف.[7] فالهلع له جانبان، أحدهما: الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع فتلك بخلق الله تعالى؛ ولا يمكن إزالة تلك الحالة كليا. والثاني: تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية، ويمكن الإنسان ترك الأفعال والأقوال الظاهرة فهي أمور اختيارية تحت قدرته وإمكانه.[8]

وفي معنى الجزوع صفة اليؤوس والقنوط: يقول الله تعالى: **{وَلَئِنْ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ۚ اِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ}** [سورة هود/٩] **{لَا يَسْئَمُ الْاِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَاِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ}** [سورة الفصلت/٤٩] **اليؤوس لغة:** قطع الرجاء والأمل.[9] والقنوط لغة: هو أشد اليأس، وأكثر مبالغة منه.[10]

---

[1] الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، ص/ ١٩٤- ١٩٥.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، ج/٨، ص/ ٤٧.

[3] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج/٥، ص/ ٢٧٨.

[4] الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، ص/ ٧٧٩.

[5] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج/٣٠، ص/٦٤٤.

[6] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٧، ص/١٦٦ إلى ١٦٨.

[7] ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٣١، ج/٢٠، ص/٤٠٢. وفي ذلك يقول البقاعي: "لأنه سبحانه قرن بما جبلهم عليه من الهلع من طهارة الجسد لطهارة طينته، وزكاء روحه، ما هيأه لتهذيب نفسه مما يسره له من أصدقاء الخير وأولياء المعروف، وسماع المواعظ الحسان والإبعاد عن معادن الدنس من البقاع والأقران والكلام والأفعال، وغير ذلك من سائر الأحوال، والملابسة بكل ما يحمل على المعالي من صالح الخلال، حتى كانوا من أهل الكمال، ولذلك وصفهم بما يبين عراقتهم في الوصف لها فقال: {الذين هم} أي بكلية ضمائرهم وظواهرهم."

[8] المصدر السابق، ج/٣٠، ص/٦٤٤. بتصرف

[9] ابن منظور، لسان **العرب**، ج/٨، ص/١٤٦.

[10] العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، ص/٤٣٦.

الفصل الثاني الصفات الجبلية والعوامل المؤثرة فيها وحكمة تفاوتها في الناس

وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول الصفات الجبلية الخاصة وورودها في القرآن الكريم

المبحث الثاني العوامل المؤثرة في الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان

المبحث الثالث حكمة تفاوت الصفات الجبلية الخاصة في الناس، وأثرها في اختيار الله للأنبياء

المبحث الأول الصفات الجبلية الخاصة وورودها في القرآن الكريم

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول التعريف بالصفات الجبلية الخاصة

المطلب الثاني ماورد في القرآن الكريم من الصفات الجبلية الخاصة

المطلب الأول التعريف بالصفات الجبلية الخاصة

فالصفات الجبلية الخاصة في الإنسان كثيرة، نذكر منها ما ورد في القرآن الكريم التصريح بها، أو الإشارة إليها، منها ما هو ممدوح ومنها ما هو مذموم، وسنذكر في هذا المطلب عشرة من الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان كل صفة ممدوحة مع ما يقابلها من الصفة المذمومة، بتعريفها، وأقوال العلماء فيها، ثم نذكر في المطلب الثاني ما ورد في القرآن من التصريح أو الإشارة إلى تلك الصفات، وبعض الشخصيات التي يمتلكها.

أولاً صفة الشجاعة ويقابلها الجبن

الشجاعة معناها لغة: شدة القلب في البأس، وعكسها الجبن،[1] الشجاعة اصطلاحا: عرفت بعدة تعريفات منها:

[1] ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/٨، ص/١٧٣؛ عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج/٢، ص/١١٦٧.

- قوة معنوية تمكن الإنسان من مقاومة المحن، ومجابهة الخطر أو الألم، وتدفعه إلى العمل بحزم.[١]
- هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين.[٢]
- بذل النفس للموت (للدفاع) عن الدين والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلما في المال والعرض، وفي سائر سبل الحق، سواء قل من يعارض أو كثر.[٣] وبذل النفس للموت في سبيل الدفاع عن شيء محترم ومقدس، يعني عدم الخوف والجبن، والإقدام على المكاره، وثَبات الجأش على المخاوف، والاستهانة بالموت.

ويقابلها الجبن فمعناه لغة: وهو تهيب الإقدام على ما لا ينبغي الخوف منه.[٤] والجبن اصطلاحا: هيئة حاصلة للقوة الغضبية، بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي وما لا ينبغي.[٥]

والشجاعة صفة عظيمة تشمل صفات عديدة، وهي ينبوع الأخلاق الكريمة والخِصال الحميدة، يَحمل النفس على التحلِّي بالفضائل، ويَحرسها من الاتِّصاف بالرذائل، ويسند إلى أرسطو القول: "الشجاعة أُوْلى سماتِ البشر، فهي التي تَجعلُ بقيَّة السمات مُمكنة"؛ ويدخل تحتها عدة فضائل منها كبر النفس، النجدة، عظم الهمة، الثبات، الصبر، الحلم، عدم الطيش، الشهامة، احتمال الكد.[٦]

فالشجاعة ينبغي أن تكون لوجه عظيم، وقد يعمل بعض الناس عمل الشجعان لرغبتهم في الفجور، أو لحرصهم على المتعة، لا لطلب الفضيلة ولا لاختيار الموت فهذا ليس شجاعا بالحقيقة.

---

[١] عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج/٢، ص/١١٦٧؛ TARHAN, NEVZAT, DEĞERLER PSİKOLOJİSİ, TİMAŞ YAYINLARI, İSTANBUL, 2019 تارهان، نوزات، وسيكولوجية القيم والإنسان، دار تيماش، إستانبول، ٢٠١٩، ص/٩٢.

[٢] الجرجاني، **التعريفات**، ص/١٢٥.

[٣] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، **الأخلاق والسير**، دار ابن حزم، ص/105.

[٤] عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج/١، ص/٣٤٠. ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/١٣، ص/٨٤.

[٥] الجرجاني، التعريفات، ص/٧٣.

[٦] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق ص/١٧. وقد جاء فيه: "أما كبر النفس: فهو الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكرائه، فصاحبه أبدا يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها، وأما النجدة: فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع، وأما عظم الهمة: فهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت. وأما الثبات: فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها في الأهوال خاصة. وأما الحلم: فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة. وأما السكون: الذي نعني به عدم الطيش فهو إما عند الخصومات وإما في الحروب التي يذب بها عن الحريم أو عن الشريعة، وهو قوة للنفس تقدير حركتها في هذه الأحوال لشدتها. وأما الشهامة فهي الحرص على الأعمال العظام توقعا للأحدوثة الجميلة. وأما احتمال الكد: فهو قوة للنفس بها استعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة."

ولا تكون الشجاعة كذلك مع الضعيف، فالقوة شيء، والشجاعة شيء آخر؛ كصاحب السلاح والقوة إذا قدم على الأعزل، فإنها وإن أشبهت الشجاعة فليست شجاعة حقيقية، وذلك أنه وثق بقوته وأنها تفوق غيرها، فهي تقدم لا بطبيعة الشجاعة، بل لتمام القدرة وثقة النفس والغلبة.[١]

فالشجاعة خلق يَضعه الله فيمَن شاء من عباده؛ يقول عمر بن الخطاب: "إنَّ الشجاعة والجُبن غرائزٌ في الرجال"؛[٢] فالشجاعة كانت صفة جبلية وغريزية عند العرب، وقد اختارهم الله لحمل هذا الدين العظيم بسبب وجود صفات حميدة فيهم منها وصفهم بالشجاعة وإقدامهم على الموت من دون تريث. وهناك بعض الناس إذا جند للجهاد المفروض، تقدم إليه وجلده مقشعر، وهذه الطباع التي تتأثر بالجبن، غير الطبائع التي تقبل على الموت بمحبة.[٣] وقد بين ابن خلدون بأن الشجاعة هي طبع وصفة غريزية عند أهل البدو والقرى، دون أهل المدن، وأرجع ذلك إلى عوامل مختلفة ليس محل بحثنا هنا، وللتفصيل ينظر هناك.[٤]

ثانياً صفة الحلم والأناة ويقابلهما الغضب والعجلة

معنى الحلم لغة: ترك العجلة، وهو خلاف الطيش.[٥] معناه اصطلاحا: الطمأنينة عند ثوْرة الغضب.[٦] والحلم: صفة في النفس، وهي رجاحة العقل، ورصانة، وتباعد عن العدوان، فهو صفة تقتضي هذه الأمور، ويجمعها عدم القسوة. ولا تنافي الانتصار للحق، لكن بدون تجاوز للقدر المشروع في الشريعة أو عند ذوي العقول.[٧]

معنى الأناة لغة: عدم العجلة في الأمور.[٨] معناها اصطلاحا: ضبط النفس، والصبر.[٩] والعجلة مرت تعريفها في الصفات الفطرية في الفصل السابق.[١٠]

معنى الغضب لغة: يدل على الشدة والقوة.[١] معناه اصطلاحا: تغير يحصل عند غليان دم القلب؛ ليحصل عنه التشفي للصدر.[٢] فالغضب شعور نفسي وحركة للنفس له تأثير ظاهر على

---

[١] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص/٨٨.

[٢] أ خرجه الدارقطني في سننه، كتاب النكاح، باب المهر، رقم الحديث: ٣٨٠٧؛ حديث حسن.

[٣] الغزالي، **خلق المسلم**، ص/٣٥ -٣٦.

[٤] **مقدمة ابن خلدون**، ج/١، ص/ ٢٥١.

[٥] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/٢، ص/٩٣.

[٦] الجرجاني، **التعريفات**، ص/٩٢.

[٧] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٣ هـ ص/٤٦.

[٨] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/١، ص/١٤٢.

[٩] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/١٣٤.

[١٠] انظر المطلب الثالث من المبحث الثاني من الفصل الأول

جسم الإنسان وحركاته، وذلك بأن يحدث به غليان دم القلب شهوة للانتقام، فإذا كانت هذه الحركة عنيفة، احتد غليان دم القلب، وامتلأت الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله، ويتفاوت الناس في ذلك بحسب المزاج.[٣] كما جاء في الحديث: {أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالْأَرْضِ.}[٤]

فالناس لهم طبائع مختلفة في ذلك، فبعض الناس يكون طبعهم عصبيا يستثير بأي شيء صغير أو كبير، وبعضهم يملك الحلم والرزانة لا يغضب بسرعة، ولا يستثير بالأشياء الصغيرة؛ وتتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات. ويرجع ذلك إلى ما طبع عليه الإنسان من الصفات الجبلية الخاصة، لكن قد يكون هناك تأثير العوامل الأخرى على تكون صفة الحلم عند الإنسان؛ مثل ثقة المرء بنفسه، وتجاوزه عن خطئهم. فالرجل العظيم حقا كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم.[٥]

وقد جاء في الحديث أصناف الناس في طبائعهم في الغضب: {أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمُ الْبَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ بَطِيءُ الْفَيْءِ.}[٦]

ثالثاً صفة الرحمة ويقابلها الغلظة

معنى الرحمة لغة: الرقة والعطف والرأفة.[٧] معناها اصطلاحا: هي إرادة إيصال الخير،[٨] وهو نداء لالتماس المغفرة والصفح أو لاستثارة الشفقة.[٩]

معنى الغلظة: ضد الرقة في الخلق والطبع، والفعل، والمنطق، والعيش.[١] الغليظ القلب، القاسي القلب، غير ذي رحمة ولا رأفة.[٢]

---

[١] ابن فارس، معجم **مقاييس اللغة**، ج/٤، ص/٤٢٨.

[٢] الجرجاني، **التعريفات**، ص/١٦٢.

[٣] ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، ص/١٦١. بتصرف.

[٤] **أخرجه الترمذي في سننه**، أبواب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، رقم الحديث: ٢١٩١. يقول الإمام الترمذي هذا حديث حسن.

[٥] الغزالي، محمد، **خلق المسلم**، ص/١٠٨.

[٦] **أخرجه الترمذي في سننه**، أبواب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، رقم الحديث: ٢١٩١. يقول الإمام الترمذي هذا حديث حسن، [حكم الألباني] : ضعيف لكن بعض فقراته صحيح.

[٧] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/٢، ص/٤٩٨؛ عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/٢، ص/٨٧٢.

[٨] الجرجاني، **التعريفات**، ص/١١٠.

[٩] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/٢، ص/٨٧٢.

فالناس بعضهم قلوبهم رقيقة وفيهم صفة الرحمة، كما جاء في وصف النبي صلى الله لأهل اليمن بأنهم أرق أفئدة، وبعضهم قلوبهم قاسية جلفة كما جاء ذلك في وصف الأعراب، {أو أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة منكم الرحمة}[٣] ويقول النبي ﷺ: {هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء}.[٤]

رابعاً صفة الحياء ويقابلها الوقاحة

معنى الحياء لغة: مصدر حيي، حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش.[٥] معناه اصطلاحا: انقباض النفس من شيء وتركه حذرًا عن اللوم فيه، وهو نوعان: نفساني؛ وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس، كلها كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس، وإيماني؛ وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالى.[٦]

معنى الوقاحة لغة: مصدر وقح ويوقح، وقاحة، بمعنى قلة الحياء.[٧] والاجتراء على فعل القبائح وعدم العبأ بها.[٨] معناها اصطلاحا: انحصار النفس، خوف إتيان القبائح، والحذر من الذم والسب.[٩]

وقد ذكر ابن مسكويه الحياء ضمن الفضائل التي تدخل تحت صفة العفة، وقال بأن الحياء هو أول ما يحدث في الإنسان من القوة الإيجابية، وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه، وقال بأن الحياء هو: "أول ما ينبغي أن يتفرس في الصبى، ويستدل به على عقله؛ فإنه يدل على أنه قد أحس بالقبيح، ومع إحساسه به هو يحذره ويتجنبه ويخاف أن يظهر منه أو فيه، فإذا نظرت إلى الصبي، فوجدته مستحييا مطرقا بطرفه إلى الأرض، غير وقاح الوجه، ولا محدق إليك، فهو أول دليل نجابتـه... وهذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية، لا يجب أن تهمل ولا تترك ومخالطة الأضداد."[١٠]

---

[١] ابن المنظور، لسان **العرب**، ٤٤٩ ٧

[٢] الطبري، **جامع البيان**، ج/٧ ص/٣٤١.

[٣] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج/٤، ص/٢٠٢.

[٤] أخرجه **البخاري في صحيحه**، كتاب التوحيد، باب: قول الله تبارك وتعالى: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى} /الإسراء: ١١٠، رقم الحديث: ٦٩٤٢.

[٥] ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/١٤، ص/٢١٨.

[٦] الجرجاني، **تعريفات**، ص/٩٤.

[٧] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/٦، ص/١٣٢؛ معجم **اللغة العربية المعاصرة**، ج/٣، ٢٤٧٨.

[٨] عمر، أحمد مختار، معجم **اللغة العربية المعاصرة**، ج/٣، ٢٤٧٨.

[٩] ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، ص/١٦.

[١٠] المصدر السابق، ص/٤٧.

الحياء أمارة صادقة على طيب طبيعة الإنسان، وتميز الإسلام بصفة الحياء، ولا شك أن الحياء الكامل يسبقه استعداد فطري ممهد، فإن هناك طبائع تكاد الوقاحة تكون لازمة لها، في الوقت الذي ترى فيه بعض الناس شديد الخجل مرهف الاحساس إلى حد بعيد. لكن الخجل، مع أنه العنصر البارز في الحياء، يقع في الخير والشر وقد يجر صاحبه إلى ورطات سيئة. أما الحياء فلا يكون إلا في الحدود المشروعة، فالذي يتهيب تقريع المبطلين لا يعتبر حيياً، إن الحياء لا يكون تجاه الباطل، ولا موضع له مع الناس إذا ضلوا.[١]

خامساً صفة الجود ويقابلها البخل

معنى الجود لغة: التسمح بالشيء، وكثرة العطاء. يقال جاد جاره: فاقه في الجود والكرم.[٢] والجود اصطلاحاً: بذل الفضل كله في وجوه البر، وهو بذله ما فضل عن القوت، وبذله في غير ذلك تبذير. وبذل القوة لمن هو أمس حاجة منك فهو فضل وإيثار، وهو خير من الجود.[٣] والكرم قريب من معنى الجود، فهو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي.[٤]

معنى البخل لغة: ضد الكرم، وهو المنع من مال نفسه.[٥] معنى البخل اصطلاحاً: هو منع ما فضل عن القوت.[٦]

والناس لهم طباع مختلفة في الجود والسخاء؛ فبعضهم سخي وكريم بطبعه وقد كان حاتم الطائي معروفا بشدة سخائه وكرمه، وبه يضرب المثل في الكرم، وبعضهم بخيل شحيح، وقد كان بعض الناس من قديم الزمان إلى يومنا معروفين ببخلهم، وقد ألف الجاحظ كتابا يروي فيه حكايات البخلاء. فبعض الناس إذا استخرجت منه الزكاة الواجبة، أخذ يعدها وأصابعه ترعش، فهذه الطباع التي تتأثر بالبخل، غير الطبائع التي تبعثر المال بدون حساب.[٧]

---

[١] ينظر: الغزالي، **خلق المسلم**، ص/168 167.

[٢] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/١، ص/٤٩٣؛ عمر، أحمد مختار، معجم **اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/٤١٧.

[٣] ابن حزم، **الأخلاق والسير**، ص/١٠٤.

[٤] ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، ص/18.

[٥] ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/١١، ص/٤٧؛ الجرجاني، **التعريفات**، ص/٤٢.

[٦] ابن حزم، **الأخلاق والسير**، ص/١٠٤.

[٧] الغزالي، **خلق المسلم**، ص/٣٥ – ٣٦.

سادسا صفة الاجتماعية ويقابلها الانطوائية

معنى الاجتماعية لغة: اسم منسوب إلى اجتماع، من اجتمع، يجتمع، اجتماعا، يقال اجتمع به، اجتمع معه: التقى به أو قابله.[1] معنى الانطوائية لغة: اسم منسوب إلى انطِواء، يقال انطوى على نفسه: اعتزل الناس.[2] الانطوائية اصطلاحا: اتّجاه الفرد نحو شعوره الذَّاتيّ اتّجاهًا مستغرقًا يؤدّي إلى السَّهو وفرط الحساسية، يقال في علم النفس "شخصيّة انطوائيّة".[3]

والناس يحملون طبائع مختلفة في الاجتماعية، منهم اجتماعيون يحبون مخالطة الناس، والتعرف عليهم والتحدث معهم، ومنهم انطوائيون يحبون الاعتزال، ولا يحبون مخالطة الناس كثيرا. ويعرف ذلك بأن الاجتماعي يهرع إلى المجامع الحافلة، وسرعان ما يتصل بهذا وذاك، ويستأنس بتصفح الوجوه ومحادثة القريب والبعيد، وأما الانطوائي فتزج به في الأحفال المائجة، فإذا هو يقيم حول نفسه سوراً، يطل منه على الناس بحذر، ويتوارى خلفه إن قصده قاصده.[4]

سابعاً صفة حب التطلع للمعرفة ويقابلها عدم الاهتمام بالبحث والمعرفة

التطلع معناه لغة: من تطلع إلى عينيه أو في عينيه، نظر إليهما، وتطلع إلى لقاء صديقه: ترقب حدوثه بشوق، طمح إليه، تمناه ورغب فيه، يقال فلان كثير التطلعات: طموح، فلان يتطلع في فم فلان: يتعقب كلامه.[5] معناه اصطلاحا: رغبة ملحة تدفع الفرد إلى تحقيق مستوى أفضل مما هو فيه.[6] ومعنى حب التطلع للمعرفة: هو تشوق الإنسان وطموحه للمعرفة والعلم.

فبعض الناس بمقتضى طبعهم ومزاجهم عندهم تشوق عظيم تجاه المعرفة والتعلم، والبحث عن حقيقة الأشياء، وبعضهم لا يوجد لديهم هذا التشوق، والاهتمام بالبحث والمعرفة. ويتفاوت الناس في تلك الصفات، وهذا يظهر على أعمالهم.

---

[1] عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج/١، ص/٣٩٢.

[2] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/٢، ص/١٤٢٧.

[3] المصدر السابق، ج/٢، ص/١٤٢٨.

[4] الغزالي، **خلق المسلم**، ص/191.

[5] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة، ج/٢، ص/١٤٠٩.**

[6] المصدر السابق، ج/٢، ص/١٤١٠.

ثامناً الذكاء والفطنة ويقابلها البلادة

معناها لغة: سرعة الفطنة، يقال قلب ذكي، وصبي ذكي، إذا كان سريع الفطنة، سريع الفهم، والإدراك.[1] معناها اصطلاحا: قدرة على التحليل، والتركيب، والتمييز، والاختيار، والتكيف إزاء المواقف المختلفة.[2] والبلادة لغة: ضعف الذكاء، وثقل الفهم، وقلة النشاط.[3]

ومن المعلوم تفاوت الناس في قدراتهم العقلية، واستعداداتهم في الذكاء، فبعض الناس أذكياء جدا، وبعض الناس يوصفون بالبلادة، وضعف الذكاء والقدرة على الفهم. وقد كتب في أدبيات العرب والإسلام مؤلفات في أخبار الأذكياء، مثل كتاب الجاحظ، وأخبار الحمقى والمغفلين مثل كتاب ابن الجوزي.

تاسعاً صفة القيادية ويقابلها الضعف القيادي

معناها لغة القيادة: هو الزعامة، يقال قاد السيارة ونحوها بمعنى ساقها، تولى توجيهها. قاد الجيش: يعني ترأسه وتدبر أمره.[4] معناها اصطلاحا: قدرة على معاملة الطبيعة البشرية أو على التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة من الناس نحو هدف مشترك بطريقة تضمن بها طاعتهم، وثقتهم، واحترامهم، وتعاونهم.[5]

والناس فيهم قياديون يستطيعون قيادة الناس وإدارتهم، ويملكون الاستعداد في توجيههم وسياستهم، وإذا وكل إليهم الأمر فإنهم يقومون بذلك حق القيام، وفيهم أيضا من إذا وكل إليه الأمر في قيادة الناس وإدارتهم لا يستطيعون القيام بذلك، ولا يملكون ذلك الاستعداد في إدارتهم، وهذا معروف ومشاهد بين الناس.

عاشراً الأمانة ويقابلها الخيانة

الأمانة معناها لغة: ضد الخيانة، وهي نزاهة، وصدق، وإخلاص، وثبات على العهد، ووفاء، فهو أمين صفة مشبهة تدل على الثبوت من أمن وهو من يوثق فيه، ويركن إليه. فأمين

---

[1] ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/١٤، ص/٢٨٧؛ د أحمد مختار، معجم **اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/٨١٧ئ.

[2] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/٨١٨.

[3] ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/٣ ص/٩٦. عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة، ج/١، ص/٢٣٩.**

[4] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/٣، ص/١٨٦٨.

[5] المصدر السابق، ج/٣، ص/١٨٦٩.

الأمة: أبو عبيدة بن الجراح وكان من عظماء الصحابة رضوان الله عليهم، وأمين الوحي: الروح الأمين جبريل عليه السلام.[١]

معناها اصطلاحا: الحفاظ على العهد، وصون ما اؤتمن عليه، فقد لقب الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالصادق الأمين، كان الناس يستودعونه أموالهم، وأما الخيانة: فهي تصرف الشخص فيما ليس له من مال أو غيره، كان قد اؤتمن عليه.[٢]

وهناك صفات لا يمكن كونها من الصفات الجبلية مثل صفة الكذب والخيانة:

فالكذب معناه لغة: خلاف الصدق.[٣] معناه اصطلاحا: عدم مطابقته للواقع، وهو إخبارٌ على غير ما عليه المخبر عنه.[٤] **والخيانة معناها لغة:** مصدر خان، يخون، خان الشخص صديقه إذا غدر به ولم يؤد حقه.[٥] فالخيانة، مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة هو الأمانة.[٦]

والكذب والخيانة، رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعية قاهرة. ولكنه لا عذر البتة لمن يتخذون الكذب والخيانة خلقاً ويعيشون على خديعة الناس؛ قال رسول الله - على الله عليه وسلم: "يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب، وسئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم! قيل له أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم! قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال لا"[٧]

المطلب الثالث ماورد في القرآن الكريم من الصفات الجبلية الخاصة

وقد وردت في القرآن صفات جبلية كثيرة، إما صراحة بوصف الأنبياء أو الصالحين بها، وإما إشارة إلى وجود بعض تلك الصفات في بعض الناس، نذكر منها ما تم شرح معناها في المطلب الثاني، ونكتفي هنا بالصفات المحمودة دون ما يقابلها من الصفات المذمومة، حتى لا

---

[١] ابن فارس، معجم **مقاييس اللغة**، ج/١، ص/١٣٣؛ عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/١٢٢-١٢٤.

[٢] عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/١٢٢-١٢٤.

[٣] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/٥، ص/١٦٧. ابن المنظور، **لسان العرب**، ج/١، ص/٦٠٦.

[٤] التعريفات، **الجرجاني**، ص/١٨٣.

[٥] عمر، أحمد مختار، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج/١، ص/٧٠٩.

[٦] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص/٣٠٥.

[٧] الغزالي، **خلق المسلم**، ص/٣٥ – ٣٦.

تطول الدراسة، فالدراسة لا تهدف استقصاء جميع الصفات الجبلية الخاصة، ويكفي ذكر أهم الصفات الجبلية الخاصة التي وردت في القرآن:

أولاً صفة الشجاعة

وقد وصف الله الأنبياء والمرسلين بأنهم يملكون صفة الشجاعة بطبعهم، وقد اختارهم الله تعالى وهو أعلم حيث يجعل رسالته حيث قال تعالى: **{إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ}** [سورة النمل/١٠] وقد صف الله الأنبياء بالشجاعة وأنهم لا يخافون، ولا يكون فيهم صفة الجبن؛ يقول تعالى: **{يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ}** [سورة النمل/١٠].

فإذا كان الأنبياء لا يخافون بطبيعتهم وصفاتهم الجبلية، فلماذا خاف موسى؛ فالجواب عن ذلك هو أن الشجاعة هي الصفة الغالبة على الأنبياء، وذلك لا يدل على عدم خوفهم أَصلا، لأنهم بطبيعتهم الإنسانية قد يخافون، والنبي موسى قد خاف بطبيعته الإنسانية، لكن هذا لا يدل على وجود صفة الخوف والجبن فيه؛ فإن الأنبياء ليسوا جبناء ولا يوصفون بالجبن.

وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وهذا تعليم لموسى عليه السلام التخلق بخلق المرسلين من رباطة الجأش، وليس في النهي حط لمرتبة موسى عليه السلام عن مراتب غيره من المرسلين وإنما هو جار على طريقة: مثلك لا يبخل. والمراد النهي عن الخوف الذي حصل له من انقلاب العصا حية وعن كل خوف يخافه كما في قوله: **{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ}** [سورة طه/ ٧٧][1]

ثانياً صفة الحلم والأناة

وقد أسند القرآن إلى بعض الأنبياء صفة الحلم، فهي صفة ترجع إلى الجبلة والطبيعة؛ منها ما جاء في حق سيدنا إبراهيم: قال تعالى: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ}** [سورة هود/ ٧٥]، **{إِنَّ اِبْرٰهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}** [سورة التوبة/١١٤]. فقد مدح الله سيدنا إبراهيم بهذه الصفات الجميلة، ووصفه بكونه حليما أي قليل الغضب وبطيء الغضب، متذلل لربه خاشع له، رَجَّاع إلى طاعته،[2] وبكونه أواها أي رحيما، كثير التوجع والتفجع عند نزول المضار بالناس.[3]

فصفة الحلم الموجودة في سيدنا إبراهيم، صفة جبلية خاصة ترجع إلى مزاجه الشخصي، وسجيته. يعني أن سيدنا إبراهيم جبل على هذه الصفة بخلقته، فهو لا يغضب بسرعة، وهذا راجع

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٩، ص/٢٢٨=٢٢٩.

[2] الطبري، **جامع البيان**، ج/١٥، ص/ ٤٠٦؛ القرطبي، ج/ ٩، /٧٣؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج/٤، ص/٣٣٥.

[3] فخرالدين الرازي، **مفاتيح الغيب، ج/** ١٦، ص/ ١٥٨.

إلى المزاج والسجية. لكن قد يرد احتمال كون هذه الصفة في سيدنا إبراهيم مكتسبة، لكن مدح الله له بهذه الصفة الموجودة فيه، من دون غيره من الصفات، يدل على أن هذه الصفة هي السمة الأساسية فيه التي يتميز بها عن غيره من الأنبياء، وهذا يرجع إلى طبيعته الشخصية؛ إلا أن سيدنا إبراهيم احتفظ على هذه الصفة الموجودة في مزاجه ونماها، ولذلك استحق المدح عليها بسبب كسبه في الحفاظ على الصفة الجبلية الخاصة الموجودة فيه.

وكذلك أشار القرآن إلى حلم هود كغيره من الأنبياء، وهو يستمع إلى إجابة قومه بعد ما دعاهم إلى توحيد الله **{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرٰيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ، وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ اَمِينٌ ﴿٦٨﴾}** [سورة الأعراف/٦٦ إلى ٦٨] إن شتائم هؤلاء الجهال لم يطش لها حلم هود.

وقد كان طبع العرب في زمن النبي ﷺ الجهالة ضد الحلم، وكانوا يفخرون بأنهم يلقون الجهل بجهل أشد، بقولتهم المشهورة: **ألا لا يجهلن أحد علينا، فنجهل فوق جهل الجاهيلنا.** فالجاهلية التي عالج رسول الله ﷺ محوها كانت تقوم على ضرين من الجهالة، جهالة ضد العلم وأخرى ضد الحلم، وقد كان النبي ﷺ ينصح من جاءوه مسترشدين بما يلائم طباعهم ويوافق بيئتهم، وقد يوجز أو يطنب وفق ما تقضي به الأحوال. وكثير من النصائح التي أسداها الرسول للعرب كانت تتجه إلى هذا الهدف.[١] كما جاء في قول رسول الله للأشج، بمدحه على صفة الحلم والأناة: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَشَجِّ - أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ -: إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ}.[٢]

فالحلم والأناة صفتان ترجعان إلى المزاج الشخصي للأشج، وليست مكتسبة، بدليل ما جاء في رواية أخرى للحديث؛ أنه لما قال رسول الله ﷺ للأشج إن فيك خصلتين الحديث قال يا رسول الله: {أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما، فقال: "بل جبلك الله عليهما" فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله}.[٣].[٤]

---

[١] الغزالي، **خلق المسلم**، ص/١١١ -١١٢.

[٢] **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، رقم الحديث ١٧.

[٣] أخرجه **الإمام أحمد بن حنبل** في مسنده، الملحق المستدرك من مسند الأنصار بقية، مسند الوزاع بن الزراع العبدي، رقم الحديث، ٥٤. [قال الشيخ الألباني] : صحيح.

[٤] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج/١، ص/١٨٩.

ثالثاً صفة الرحمة

يقول تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** [سورة آل عمران/١٥٩]، يعني بـ "الفظ " الجافي، وبـ "الغليظ القلب "، القاسي القلب، غير ذي رحمة ولا رأفة.[١]

وقد وصف الله نبيه ﷺ بصفة الرحمة والرأفة فقال: **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}** [سورة التوبة/١٢٨] والرأفة انفعال النفس بالمحبة والرفق بالناس، والرحمة أوسع شمولا من الرأفة، إذ إن الرحمة النبوية تكون بالكافة، وقد يكون العقاب منافيا للرأفة، وهو من مقتضيات الرحمة، كما في قوله تعالى في حد الزاني: **{وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ]** [سورة النور/٢٢]. فالرأفة قد تجافي العقاب، أما الرحمة فإن العقاب ينبعث منها؛ لأنه رحمة بالكافة.[٢]

ومن مظاهر رحمة النبي ﷺ حرصه على هداهم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام، بقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}** [سورة الأنبياء/ ١٠٧].[٣] وقد وصف الله نبيه في آيات كثيرة بأنه باخع نفسه على ألا يكون مسلمين، وهذا من مظاهر رحمته.

وكذلك جاء هذا الوصف لسيدنا إبراهيم، بوصفه **{إِنَّ اِبْرٰهِيمَ لَاَوَّاهٌ حَلِيمٌ}** [سورة التوبة/١١٤]، والأواه فسر بمعان ترجع إلى الشفقة، إما على النفس فتفيد الضراعة إلى الله والاستغفار، وإما على الناس فتفيد الرحمة بهم والدعاء لهم. والوصف بأواه يفيد معنى الرأفة ورقة القلب والتضرع.[٤]

وقد كان سيدنا إبراهيم رؤوفا رحيما، ومن مظاهر رحمته أنه جادل الملائكة الذين جاؤا لعذاب قوم لوط، يقول تعالى: **{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ}** ۚ [سورة الهود/٧٤] فوصف الله سيدنا إبراهيم بقوله: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ}** [سورة هود/ ٧٤-٧٥]. والأواه يفيد الرحمة والشفقة، وذلك يرجع إلى صفة الرحمة المطبوعة فيه، وكذلك جاء هذا الوصف لسيدنا إبراهيم بعد الكلام عن استغفاره لأبيه، فقد كان ذلك بسبب رحمته ورأفته وشفقته على والده، قال تعالى: **{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا**

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، ج/٧، ص/٣٤١.

[٢] محمد أبو زهرة، بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، ج/٧، ص/٣٤٩٤.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١١، ص/٧٠.

[٤] المصدر السابق، ج/١١، ص/٧٠.

تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [سورة التوبة/ ١١٤]. وقد كان نبينا محمد ﷺ يشبه جده في هذه الرحمة حيث إنه لم يدع على قومه الذين كانوا يؤذونه.

رابعاً صفة الحياء

وقد أشار القرآن الكريم إلى صفة الحياء، وذلك في قوله تعالى عند وصفه لبنت النبي شعيب عليه السلام: **{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}** [سورة القصص/٢٥]. فمريم ابنة عمران كانت شديدة الحياء، فعندما أخبرها جبريل -عليه السلام- أنه سيكون لها ولد، ردت متعجبة مستبعدة ذلك، فأخبرها بقدرة الله -تعالى- على هبة الولد لها، قال -تعالى-: **{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا}** [سورة مريم/ ٢٠] ومن شدة حيائها ابتعدت عن قومها إلى حين الولادة.

وقد وصف الله تعالى نبينا محمدا ﷺ بالحياء في قوله في سورة الأحزاب: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ}** [سورة الأحزاب/٥٣]. فصفة الحياء كانت طبعا في النبي ﷺ أرق الناس طبعاً، وأنبلهم سيرة، فعن أبي سعيد الخدري: {"كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه"}[1]

وقد اعتبر النبي ﷺ صفة الحياء التي توجد في طباع بعض الناس، صفة طيبة من الإيمان، يجب المحافظة عليها دون التخلي عنها، وتربيتها، فقد مَرَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ"[2]

فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى، فجاءته **{تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}** [سورةالقصص/٢٥] وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء.

ويدل على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها

[1] **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث:٦١٠٢.

[2] **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم الحديث:٢٤.

الحياء منه، فـ {قَالَتْ} له: **{ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}** [سورةالقصص/٢٥] أي: لا لِيمُنَّ عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى.[١]

خامساً صفة الجود

وقد بين القرآن الكريم بأن نفس الإنسان مجبولة على الشح وهو البخل ووصف الإنسان بالقتور، لكن درجة الشح والقتر متفاوتة بين الناس، فالجواد بجبلته وطبعه مهما وصل إلى درجة السخاء والكرم إلا أنه يكون فيه صفة الشح والبخل ولو بمقدار قليل، وقد أشاد القرآن الكريم بالذين ينفقون تثبيتا من أنفسهم، يعني الذين فيهم طبع السخاء والكرم، وينفقون أموالهم بحب وطواعية، فقال: **{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ اَصَابَهَا وَابِلٌ فَاٰتَتْ اُكُلَهَا ضِعْفَيْنِۚ فَاِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** [سورة البقارة/٢٦٥]

وقد وصف الله سيدنا إبراهيم بالكرم والجود في قوله تعالى: **{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ}** [سورة الذَّاريات/٢٤-٢٦] قال الطَّبري: (عن مجاهدٍ، قوله: ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ قال: أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذٍ)[٢]

سادساً صفة الاجتماعية:

إن الأمر القرآني بالتعارف بين الشعوب والقبائل يرجع إلى الحث على معنى الاجتماعية المطلوبة، كما جاء في قوله تعالى في سورة الحجرات: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [سورة الحجرات/١٣]

والقرآن حث الناس على الاجتماعية في آيات كثيرة إشارة منه إلى وجود صفة الانفرادية والعزلة عند بعض الناس، وبذلك ربى فيهم هذا الطبع المذموم، وقد قال تعالى في سورة لقمان: **{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** [سورة لقمان/١٨] فهذه الآية تحث على عدم الإعراض عن الناس، وعدم احتقارهم، وعدم التكبر عليهم، لأن الله لا يحب كل متكبر معجب بنفسه يأنف على الناس.[٣]

---

[١] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص/٦١٤.

[٢] الطبري، جامع البيان، ج/٢١، ص/٥٢٥.

[٣] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج/٦، ص/٣٠٣.

إن عدم مخالطة الناس والابتعاد عنهم، وحالة الانفراد والعزلة، عند بعض الناس يرجع معنى إلى التكبر، واحتقار الناس، وهذه الصفة من علامات الكبر. إلا أنه قد يكون هناك أسباب أخرى يجعل الإنسان انفراديا يحب العزلة، مثل الخجل طبع عليه، والبيئة أو الأسرة التي يعيش فيها الإنسان.

وكذلك أشار النبي ﷺ إلى صنفين من الناس: أحدهما اجتماعي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، والثاني: انفرادي يفضل الاعتزال عن الناس، وبين بأن الاجتماعي خير من الانفرادي؛ حيث قال ﷺ: {المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم} [1]

سابعاً حب التطلع للمعرفة والبحث:

وقد وردت الإشارة إلى حب التطلع للمعرفة والبحث في قوله تعالى يحكي قول الجن الذين أسلموا: **{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا}** [سورة الجن/١٤] تَحَرَّوْا: معناه طلبوا باجتهادهم،[2] أو يعني توخوا وتعمدوا، يقال هو يتحرى بكلامه وأمره الصواب،[3] والتحري: طلب الحرا بفتحتين مقصورا واويا، وهو الشيء الذي ينبغي أن يفعل، يقال: بالحري أن تفعل كذا، وأحرى أن تفعل. والرشد: الهدى والصواب، وتنوينه للتعظيم. والمعنى: أن من آمن بالله فقد توخى سبب النجاة وما يحصل به الثواب لأن الرشد سبب ذلك.[4] وكل هذه المعاني التي ذكرها المفسرون فيها معنى البحث والتطلع والتشوق للمعرفة والهداية وسبيل الرشاد.

حيث يبين الله تعالى على لسان الجن: بأن منهم المسلمون ومنهم الضالون الظالمون، وقد وصف الذين أسلموا بأنهم بحثوا عن طريق الهداية والرشد، وتطلعوا للمعرفة والبحث، ويشير بذلك إلى أن هذه الصفة الموجودة فيهم هداهم إلى طريق الحق، وكانت تلك الصفة سببا في هدايتهم.

وكذلك نجد إشارة من القرآن الكريم إلى وجود هذه الصفة في سيدنا إبراهيم، حيث إنه تطلع لمعرفة أن الله كيف يحيي الموتى، فقال: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}** [سورة البقرة/٢٦٠] فإن سيدنا إبراهيم لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام الانتقال من العلم النظري البرهاني، إلى العلم

---

[1] **أخرجه ابن ماجة في سننه**، أبواب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم الحديث: ٤٠٣٢؛ حديث صحيح.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج/٥، ص/٣٨٢.

[3] الواحدي، **تفسير البسيط**، ج/٢٢، ص/٣٠٦-٣٠٧.

[4] ينظر: بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٢٩، ص/٢٣٦.

الضروري،[1] وقد كان سيدنا إبراهيم غواصًا طالبًا للمعرفة يتأمل في كل شيء ويتقصى بفكره باحثًا وراء الحقيقة طالبا لها، فحمل نفسه بسبب ذلك عناء البحث عن الكيفية، فكان في حاجة إلى ما يذهب حيرته في هذه الكيفية، فطلب ما طلب ليطمئن عقله الحائر.[2]

فسيدنا إبراهيم لم يكن شاكا في إحياء الله للموتى لكنه تطلع لمعرفة كيفيته؛ وكيف: في هذه الآية استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر، فأراد أن يترقى من علم اليقين إلى علم اليقين، فقوله: "أرني كيف" طلب مشاهدة الكيفية. وقد جاء في قول النبي ﷺ: (نحن أحق بالشك من إبراهيم)[3] يعني أنه لو كان شاكا، لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك، فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم.[4]

ومن ذلك أيضا ما نجده عند سيدنا موسى؛ حيث إنه كان متطلعا للعلم والمعرفة؛ فلذلك طلب من سيدنا الخضر أن يتبعه ليتعلم منه، كما جاء في قوله تعالى: **{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}** [سورة الكهف/٦٥ –٦٦] ويخبر تعالى في سورة الكهف عن نبيه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم.[5] ونجد اتصاف سيدنا موسى بتشوقه وتطلعه للمعرفة، في عدم صبره على سؤال سيدنا الخضر فيما يفعله، مع أن سيدنا الخضر اشترط عليه بأن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له ذكرا، لكنه لم يصبر على السؤال وذلك لتشوقه وتطلعه لمعرفة حقيقة الأشياء.

ثامناً الذكاء والفطنة

ومن صفات الأنبياء الأساسية الفطانة، فهي الصفة التي تمثل استعداد الأنبياء لحمل رسالة علمية، ومهمة تربوية، وقيادة سياسية، بها يعرف الرسول ما يلقي إليه من الوحي، وبها يستطيع أن يحفظه ولا ينساه، وبها يستطيع بعد أن يبلغه كما أوحي إليه، وبها يستطيع بعد ذلك أن يعالج أمته بالتربية الحكيمة والقيادة السليمة وفق طبائعهم، وأخلاقهم.[6]

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٣، ص/٣٨-٣٨.

[2] ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج/٢، ص/٩٦٦.

[3] اخرجه البخاي في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: قوله عز وجل: {ونبئهم عن ضيف إبراهيم} /الحجر: ٥١، رقم الحديث:١٢٣٤.

[4] القرطبي، **جامع لأحكام القرآن**، ج/٣، ص/٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠.

[5] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص/ ٤٨١.

[6] ينظر: حبنكة، **العقيدة الإسلامية**، ص/٣٣٤.

فقد وصف الله سيدنا إبراهيم بأنه كان صاحب فطنة وذكاء وعقل راجح، حيث قال تعالى: **{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}** [سورة الأنعام/٨٣]. وبين أن ذلك فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء ويرفع درجات من يشاء بالعلم، والذكاء والفطنة. ويدل على فطنة سيدنا إبراهيم قدرته على إقامة الحجة والإقناع، ومن شواهد ذلك ما جاء في القرآن في قصة إبراهيم -عليه السلام-: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [سورة البقرة/٢٥٨]

وكذلك بين الله تعالى قوة عقل سيدنا يوسف في حيلته لأخذ أخيه الذي ما كان يستطيع أن يأخذه بحسب قوانين الملك، وقال بعد ذلك: **{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}** [سورة يوسف/٧٦] نرفع درجات من نشاء: أي أن الله تعالى يريه وجوه الصواب في بلوغ المراد، ويخصه بأنواع العلوم، وأقسام الفضائل، والمراد هاهنا هو أنه تعالى رفع درجات يوسف على إخوته في كل شيء.[1]

فقوله تعالى **{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ}** [سورة يوسف/٧٦] قد كرر في موضعين: أولا لسيدنا إبراهيم في سورة الأنعام في وصف إبراهيم عليه السلام، عند إيراده ذكر دلائل التوحيد والبراءة عن إلهية الشمس والقمر والكواكب، بقوله: **{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ}** [سورة الأنعام/ ٨٣] وثانياً في وصف سيدنا يوسف في سورة يوسف لما هداه إلى هذه الحيلة، بقوله: **{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ}** [سورة يوسف/٧٦].[2]

تاسعا صفة القيادية

وقد وصف الله بعض الأنبياء بشخصيتهم القيادية، منهم سيدنا يوسف، يقول الله تعالى **{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۚ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ}** [سورة يوسف/ ٥٤]. لذا لما علم نبي الله يوسف عليه السلام من نفسه القدرة على إدارة أمور البلاد وتيسير شؤون العباد بعد أن قال له الملك: **{اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ}** [سورة يوسف/ ٥٤] **{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الْاَرْضِۚ اِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}** [سورة يوسف/ ٥٥] ومنهم سيدنا موسى، فقد خبرت

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ١٨، ٤٨٩.

[2] المصدر السابق، ج/ ١٨، ص/ ٤٨٩.

بنـت شعيب عليه السلام مكنة نبي الله موسى عليه السلام على رعي الغنم وأمانته، قالت تنصح به أباها وتوصي به: **{يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}** [سورة القصص/٢٦][1]

وكذلك نجد الإشارة في قوله: **{فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ}** [سورة يوسف/ ٥٤]. أنه استدل الملك بكلام سيدنا يوسف على عقله، وشخصيته القيادية، وبعصمته على أمانته وعفته. والمكين: بمعنى صاحب مكانة، وهي المرتبة العظيمة، ويدخل فيها صفة القيادية، لأن القيادة لا يتصف بها إلا أصحاب المكانة والأمين: بمعنى موثوق به في حفظه. وترتب هذا القول على تكليمه إياه يدل على أن يوسف عليه السلام كلم الملك كلام حكيم أديب، فلما رأى حسن منطقه وبلاغة قوله وأصالة رأيه، رآه أهلا لهذه الوظيفة القيادية. واقتراح يوسف عليه السلام ذلك بإعداد لنفسه للقيام بمصالح الأمة بتوليته خزائن المملكة ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها، بقوله إني حفيظ عليم، ليعلم الملك أن مكانته لديه وائتمانه إياه قد صادفا محلهما وأهلهما، وأنه حقيق بهما لأنه متصف بما يفي بواجبهما، وذلك صفة الحفظ المحقق للائتمان، وصفة العلم المحقق للمكانة والقيادة.[2]

عاشراً صفة الأمانة

فالأمانة من صفات الأنبياء الأساسية كذلك، والأنبياء يوصفون بالأمانة بفطرتهم وجبلتهم، حتى كانت الأمانة وصفهم الذي يميزهم قبل النبوة؛ فقد كان رسول الله في حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين، وكذلك شوهدت مخايل الأمانة على موسى حين سقى لابنتي الرجل الصالح ورفق بهما، واحترم أنوثتهما، وكان معهما عفيفا شريفا. يقول الله تعالى: **{فَسَقٰى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلّٰٓى اِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ اِنِّي لِمَٓا اَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾فَجَٓاءَتْهُ اِحْدٰيهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَٓاءٍ قَالَتْ اِنَّ اَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ اَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَٓاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ۙ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾قَالَتْ اِحْدٰيهُمَا يٰٓا اَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ اِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْاَمِينُ ﴿٢٦﴾}** [سورة القصاص/ ٢٤ إلى٢٧]

فسيدنا موسى الذي ظل معتصما بالفضيلة والعفة على شدة الفقرة ووحشة الغربة، هو رجل قوى أمين، والمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد، ينبغي أن لا تتغير باختلاف الأيام بين

[1] فؤاد، محمد ضائر، الشاكلة الشخصية وأثرها في الاجتهادات الشرعية، مجلة البحث العامي الإسلامي، مركز البحث العامي الإسلامي، ٢٠٢١، ص/١٣٤.

[2] ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون، ج/٣، ص/٤٩-٥١-٥٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/١٣، ٧إلى١٠؛ القاسمي، **محاسن التأويل**، ج/٦، ص/١٩١.

نعمى وبؤسى، وذلك جوهر الأمانة.[1] فسيدنا موسى جمع بين القوة والأمانة أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، فالخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وباجتماعهما، يتم العمل ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى.[2]

[1] ينظر: الغزالي، **خلق المسلم**، ص/٤٦.

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص/٦١٤.

المبحث الثاني العوامل المؤثرة في الصفات الفطرية والجبلية عند الإنسان

فالصفات الفطرية أو الجبلية في الإنسان تتأثر بعدة عوامل منها عوامل داخلية وعوامل خارجية، وبعض تلك الصفات تؤثر في تكون الصفات الفطرية أو الجبلية. وقد جاء هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول العوامل الداخلية

المطلب الثاني العوامل الخارجية

المطلب الأول العوامل الداخلية

هي الوراثة، والهوى، والعقل.

أولاً عامل الوراثة

أهم العوامل في تكون صفات الإنسان، هي عامل الوراثة التي تنتقل من الآباء والأمهات إلى الأولاد. واهتم الإسلام بهذا الموضوع وحث على الاعتناء باختيار الأزواج، يقول الله تعالى **{وَاَنْكِحُوا الْاَيَامٰى مِنْكُمْ وَالصّٰالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَاِمَّائِكُمْ}** [سورة النور/٣٢] يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم. ومن معاني الصالحين الصلاح للتزوج بمعنى اللياقة لشؤون الزواج، أي إذا كانوا مظنة القيام بحقوق الزوجية.[١] والصلاح هو الإيمان والقيام بحقوق النكاح، وخص الصالحين بالذكر ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم.[٢]

وحث النبي ﷺ على ذلك فقَالَ: {تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِم}[٣] يقول الفيومي في شرح هذا الحديث: **"يعني ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعد من الخبث والفجور."**[٤] ويقول المناوي: **"فإن الولد ينزع إلى أصله وطباعه وشكله."**[٥]

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/١٨، ص/٢١٦.

[٢] القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت ١٣٠٧هـ)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج/٩، ٢١٥.

[٣] أخرجه ابن ماجه **في سننه**، كتاب النكاح، باب الأكفاء، رقم الحديث:١٩٦٨، حديث حسن.

[٤] الفيومي، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، ج/٨، ص/٦١٠.

[٥] المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١هـ) **التيسير بشرح الجامع الصغير**، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج/١، ص/٤٤٦.

فالمولود يأخذ بعض صفاته الجبلية الإيجابية أوالسلبية من والديه ويتشكل طبعه منهما، ولهذا السبب حث النبي ﷺ على اختيار الأزواج. فتكوين الصفات الجبلية الحسنة في الطفل يرجع إلى اختيار الأم أو الأب أولا. فينبغي على الرجل أن يختار زوجة صالحة وطيبة الخلق، حتى ينشأ ولده على الصفات الجبلية الطيبة، وكذلك على المرأة أن يختار زوجا صالحاً لذلك.

ونجد الإشارة إلى عامل الوراثة في قوله تعالى: **{يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا}** [سورة مريم/٢٨] فنجد أنهم وبخوها لأن المتوقع أن يكون أولاد الصالحين صالحة كذلك بعامل الوراثة، ويكون التوبيخ لذلك أشد؛ لأن دوافع الصلاح أكثر عندئذ، وكلما كان دافع الصلاح أكثر يكون الذنب أعظم.[١]

فالطفل يولد وهو مزود باستعدادات حسية وحركية وبيولوجية بعامل الوراثة، فوراثات الطفل، من أبويه وأهله، ذات أثر في تكوين مزاجه الشخصي، فهو يولد بها قبل أن يتأثر من البيئة الخارجية، وقد يكون في البيت الواحد أخوان ينشآن في ذات البيئة وفي ذات الجو، لكن يكون أحدهما كريماً والآخر بخيلاً؛ أو يكون أحدهما شجاعاً والآخر جباناً؛ أو يكون أحدهما منفتحاً على الناس والآخر منطوياً على نفسه؛ وذلك بتأثير الوراثات. لكن تلك الصفات الوراثية تسمح له بأن يستجيب للبيئة الخارجية؛ فقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن شخصية الطفل تبدأ بالتشكيل خلال وجوده في رحم الأم، وأن العناصر البيولوجية المتوارثة هي التي تسهم في بناء الشخصية. ويرى بعض علماء النفس أن شخصية الفرد هي ثمرة عوامل ثلاثة: العنصر البيولوجي الموروث، وتأثير الثقافة والبيئة على الفرد، ثم تأثير الخبرات والمهارات الخاصة المميزة التي يتكسبها الفرد.[٢]

هناك طروحات نظرية وتطبيقية لعلم الوراثة والبيئة، تثبت أن الإنسان يحمل سمات وصفات الأجيال السابقة، وبذلك ينقل كثيراً من الصفات والخصائص إلى الأجيال التالية، فقانون الوراثة يعتبر من القوانين المهمة في حياة الكائنات الحية، وهذا القانون هو الذي يكفل للنبات والحيوان والإنسان بقاء صورها النوعية الخاصة بها، وعلى هذا الأساس يكتسب الأبناء صفات الآباء. لقد استطاع العلماء أن يفحصوا الموجودات الصغيرة بواسطة الأجهزة القوية والدقيقة، حيث توصلوا إلى اكتشاف أسرار الخلية وكيفية تأثير عوامل الوراثة.[٣]

ثانياً الهوى- النفس – الشهوة

---

[١] ينظر: فخرالدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج/٢١، ص/٥٣٠.

[٢] قطب، محمد، **منهج تربية الإسلامية**، ج/٢، ص/٣٢٥؛ حيدر، **الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي**، ص/ 166-167.

[٣] حيدر، **الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي**، ص/ ١١٥.

النفس: لها معان عديدة ذكرناها في المبحث الأول، والمعنى الذي يمكن اعتباره من العوامل، هو معنى مصدر الرغبات الإيجابية والسلبية في البشر، فالنفس تميل إلى العالم الإلهي وتسمى نفسا مطمئنة، وتميل إلى الشهوة والغضب وتسمى أمارة بالسوء، لأن النفس من أول حدوثها تألف المحسوسات وتلتذ بها وتعشقها.[١] كما جاء في هذه الآية **{وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيۜ اِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}**[سورة يوسف/٥٣] فمعنى النفس هنا هي الصفة الدنيئة فيها، وأما استعمال النفس بمعنى الرغبات الطيبة ففي هذه الآية **{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۚ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ اَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَۚ}**[سورة الأنبياء/١٠٣]

فالنفس تحقق رغباتها إما بطريقة إيجابية أو بطريقة سلبية، حسب الصفة التي هي عليها؛ فعلى سبيل المثال: عندما نعتبر النفس مصدرا للشهوة أو الدافع الجنسي عند الإنسان، فإذا تم تلبية هذه الحاجة من خلال مؤسسة الزواج، فستظهر الرغبة الإيجابية للنفس، وأما إذا حاولت تلبية هذه الحاجة من خلال العلاقات خارج الزواج، فسيظهرالرغبة السلبية للنفس. فإن هذه الرغبة بالنسبة للشخص الأول، وإشباعها من خلال الزواج قد تحقق بأمر شرعي، بينما يعتبر الرغبة من الشخص الثاني رغبة غير مشروعة.[٢]

والنفس بهذا المعنى من الدوافع التي تؤثر في الصفات عند الإنسان، حيث إنها تؤثر على الإنسان إيجابيا وسلبيا، فالجانب السلبي من النفس ينمي في الإنسان الصفات الفطرية أو الجبلية المذمومة مثل الشح بمعنى البخل والغيرة فالإنسان بتأثير رغباته السيئة قد يكون بخيلا أو حسودا. كما جاء في قول سيدنا يعقوب لأبنائه الذين قتلوا سيدنا يوسف حسدا وغيرة بتأثير أنفسهم، **{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْراًۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ}** [سورة يوسف/١٨]. فالنفس عند إخوة يوسف أدت بهم إلى صفات الحسد والغيرة.

الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده، وقد يسمى المشتهى شهوة، وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء: شهوة، كما في قوله تعالى **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}** [سورة آل عمران/١٤] يحتمل الشهوتين، وقوله **{وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِۖ}** [سورة مريم/٥٩]، فهذا من الشهوات الكاذبة، ومن المشتهيات المستغنى عنها.[٣]

---

[١] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، ج/١٨، ص/٤٧٠.

[٢] MUAMMER CENGİL, (YÜKSEK LİSANS TEZİ) KUR'AN- I KERİM'DEKİ NEFS KAVRAMINA PSİKOLOJİK AÇIDAN BİR YAKLAŞIM جنكيل، معمر، (تحليل مصطلح النفس في القرآن الكريم من منظور علم النفس) ،رسالة ماجستير، ص/١٦.

[٣] الراغب الإصفهاني، **مفردات في غريب القرآن**، ص/٤٦٨ -٤٦٩.

والشهوة من العوامل التي يؤثر اتباعها، على الصفات الموجودة عند الإنسان قال تعالى: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}** [سورة آل عمران/ ١٤] فالمطلوب -كما يقول الإمام الغزالي: "هو رد الشهوة إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط ، وأما قمعها بالكلية فلا، كيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ، أو شهوة الوقاع لانقطع النسل."[١]

واتباع الشهوة قد يؤثر على الصفات الجبلية عند الإنسان، فالإنسان مثلا قد يكون بخيلا في جبلته، لكن اتباع الشهوة يؤدي به إلى شدة البخل والشح الذي طبع عليه أكثر.

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وهي في معنى اتباع النفس الأمارة بالسوء. وقيل: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية.[٢]

وقد نهى الله تعالى عن اتباع الهوى، فإن اتباعه يؤدي بالإنسان إلى العدول عن الحق: **{فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}** [سورة النساء/١٣٥] **{فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ}** أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه، وُفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم.[٣]

ويقول تعالى يذم من يتبع هواه ويجعله مثل الإله: **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}** [سورة الجاثية/٢٣] يعني: كلما مال طبعه وهواه إلى شيء اتبعه وذهب خلفه، فكأنه اتخذ هواه إلاها يعبد.[٤] أَي: الذي يأتمر بهواه، فما رآه حسنا فعله وما رآه قبيحا تركه.[٥]

---

[١] الغزالي، **إحياء العلوم الدين**، ج/٣، ص/٥٧ إلى٦٠.

[٢] ينظر: الراغب الإصفهاني، **مفردات في غريب القرآن**، ص/٨٤٩.

[٣] ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص/٢٠٨.

[٤] ينظر: فخرالدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج/٢٦، ص/٦٧٨.

[٥] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج/٧، ص/٢٤٧.

فأما الفرق بين الهوى والشهوة هو علاقة العلة بالمعلول، فالهوى علة الشهوة وهو مختص بالآراء والاعتقادات التي تؤدي بصاحبها إلى اتباع الشهوة، والشهوة مختصة بنيل اللذة، وفعلها. فصارت الشهوة من نتائج الهوى وهي أخص، والهوى أصل هو أعم.[1]

ثالثاً عامل العقل

العقل: هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة، فالعقل نوعان، العقل المطبوع،[2] والعقل المكتسب.[3]

فالعقل الإنساني جوهرة فريدة أودعها الله في الإنسان يتأمل به بديع خلق الله، ويحكم به على فاسد الأمور من صالحها بأمر الله، ويتبع به طريق الهداية ويتجنب به طريق الضلالة، ولذلك سماه الله الحِجر في قوله : **{وَالْفَجْرِ ﴿١﴾وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ }** [سورة الفجر/٥] ؛[4] أي: لذي عقل، سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي كما يسمى عقلا؛ لأنه يعقله عن القبائح، ويمنعه من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال.[5]

فالعقل من العوامل الموجهة التي لها تأثير كبير، في تنمية الصفات الفطرية والجبلية عند الإنسان، فإذا استعمل الإنسان عقله نمت فيه الصفات الفطرية أو الجبلية الطيبة الموجودة فيه، وإذا لم يستعمل عقله الذي ينهاه ويحجره عن اتباع الصفات الخبيثة الموجودة فيه، نمت فيه الصفات الخبيثة، وأصبح من الغافلين والكافرين.[6] ولقد ندد الله تعالى الكافرين بعدم استعمالهم لعقولهم، ووصفهم بأنهم لا يعقلون، يقول تعالى: **{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}** [سورة البقرة/١٧١] أي صم عن الحق، فهم لا يسمعون، بكم يعني خرس عن الحق والصواب، والإقرار بما أمرهم الله أن يقروا به، وتبيين ما أمرهم الله

---

[1] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير (ت ٤٥٠هـ)، **أدب الدنيا والدين**، دار مكتبة الحياة، ص/٣٣.

[2] وقد جاء على هذا المعنى في حديث: "ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل" أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الصاد، رقم الحديث: ٨٠٨٦.

[3] وإلى هذا أشار حديث: "ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى" أخرجه ابن حجر العسقلاني في كتابه المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، كتاب الأدب، باب العقل وفضله، رقم الحديث: ٢٧٨٨. ينظر: الراغب الإصفهاني، **مفردات القرآن**، ص/٥٧٨ ــ ٥٧٩

[4] شمس، **الطبيعة الإنسانية وضوابطها في ضوء القرآن الكريم: جانبا العقل والأخلاق أنموذجاً**، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر، ص/٣١٥.

[5] البغوي، **معالم التنزيل تفسير**، ج/٤، ص/٥٠٨.

[6] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/١٧، ص/١٦٦ إلى ١٦٨.

بذكره أن يبينوه، عمي عن الهدى وطريق الحق، فلا يبصرونه.[1] ولما كان طريق اكتساب العقل هو الاستعانة بهذه القوى الثلاثة، وهم قد أعرضوا عنها يكونون قد فقدوا عقولهم.

المطلب الثاني العوامل الخارجية

وأما العوامل الخارجية التي تؤثر في تكون الأوصاف الخلقية وتغيرها فهي الشيطان، والبيئة ويدخل فيها المجتمع، والأسرة، والصديق:

أولاً عامل الشيطان

يقول الله تعالى: **{وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُٓوا اِلَّٓا اِبْلِيسَٓ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}** [سورة البقرة/٣٤] لقد خلق الله تعلى آدم عليه السلام وأمر الملائكة أن يسجدوا له، لكن إبليس لم يسجد، ففسق عن أمر الله مستكبرا؛ ومعاندا لأمر الله بالسجود.[2] هنا نرى الطابع السلبي للشيطان، بحيث خلق الله الإنسان والشيطان وأعطاهما الإرادة الحرة، ولم يخلق الشيطان على الطبيعة الشريرة، لكن أصبح الشيطان أسيرًا لحسده، وكبره، وأصبح عنيدًا، وأصبح من الكافرين.

فالشيطان من العوامل التي تؤثر على الناس وتكوين صفاتهم السيئة، فالآيات تبين أن الله خلق في نفس إبليس مقدرة على التأثير على الناس بإغوائهم؛ يقول الله تعالى: **{قَالَ فَبِمَٓا اَغْوَيْتَنِي لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَۙ}** ويقول تعالى: **{ثُمَّ لَاٰتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَٓائِلِهِمْۜ وَلَا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}** ويقول تعالى: **{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُماً مَدْحُوراًۜ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَاَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اَجْمَعِينَ}** [سورة الأعراف/١٦ إلى ١٨] فإبليس يعلم أن الله خلق البشر للصلاح والنفع، وأنه أودع فيهم معرفة الكمال، وأعانهم على بلوغه بالإرشاد، فلذلك سمى ذلك الصراط المستقيم، وأضافه إلى ضمير الجلالة، وقال بأنه: يأتيهم من كل جهة حتى يصادف الجهة التي يتمكن فيها من أخذه، وليس للشيطان مسلك للإنسان إلا من نفسه وعقله بإلقاء الوسوسة في نفسه.[3]

إن الشيطان أحاط الإنسان من كل جانبه، ويؤثر على مشاعر وأفكاره، ويمكن القول من خلال الآيات القرآنية، أن الشيطان يؤثر على الأشخاص الذين شخصيتهم وإرادتهم ضعيفة، ولايستطيع الشيطان أن يؤثر على الأشخاص الذين كملت شخصيتهم وإرادتهم، وينقل القرآن قول

---

[1] ينظر: الطبري، جامع **البيان في تأويل آي القرآن**، ج/٢، ص/٨٥.

[2] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج/١، ص/١٣٩.

[3] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٨-ب، ص/٤٦ إلى ٤٩.

الشيطان في هذه الآيات **{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينٌ ﴿٨٢﴾ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}** [سورة ص/٨٢ – ٨٣] **{نَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ}** سورة الحجر/٤٢].

فقد وضع الله سنة في نفوس البشر أن الشيطان لا يتسلط إلا على من كان مائلا للغواية مكتسبا لها دون من كبح نفسه عن الشر؛ فإن العاقل إذا تعلق به وسواس الشيطان علم أن الهدى في خلافه، فإذا حمل نفسه على اختيار الهدى وصرف إليه عزمه، قوي على الشيطان فلم يكن له عليه سلطان، وإذا مال إلى الضلال واستحسنه واختار إرضاء شهوته صار متهيئا إلى الغواية فأغواه الشيطان فغوى.[1]

ويمكننا أن نذكر نموذجا مثاليا من إحدى أساليب الشيطان التي يتمكن بها أن يؤثرعلى صفات الإنسان الجبلية، وشخصيته، أن الشيطان يأمر الناس بصفة البخل، ويحاول يقوي فيه هذه الصفة، يقول تعالى: **{اَلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَآءِۚ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاًۗ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌۚ}** [سورة البقرة/٢٦٨] هذه الآية دليل واضح يوضح لنا كيف يؤثر الشيطان على تكون الشخصية السلبية وتنمية صفة البخل في الإنسان والذي هو من الصفات الفطرية والجبلية عند الإنسان؛ وذلك من خلال تقديم الوسوسة حول تخويفهم من الفقر. ولذلك يحذرنا الله تعالى من الوقوع في خطوات الشيطان في آيات مختلفة، ويلفت الانتباه إلى العداوة بيننا وبينه؛ يقول الله تعالى **{يَا اَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْاَرْضِ حَلَالاً طَيِّباًۖ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِۚ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}** [سورة البقرة /١٦٨] **{إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَآءِ وَاَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [سورة البقرة /١٦٩]

وخلاصة القول: يُفهم من الآيات القرآنية أن للشيطان تأثيرا سلبيا على سلوك الإنسان، وصفاته الجبلية والفطرية، وتكوين شخصيته ومزاجه. لكنه لا يسلب من الإنسان إرادته، واختياره، فهو ليس عاملا مجبرا على الإنسان.

ثانياً عامل البيئة

إن قوى البيئة بما فيها البيئة الاجتماعية والثقافية والجغرافية تترك آثارها على شخصية الإنسان في مراحل نموه، حتى هي التي تحدد العوامل الوراثية في الإنسان، فالإنسان يكتسب صفاته الأساسية نتيجة تفاعل كلا العاملين الوراثة والبيئة، لكن مقدار تأثيرهما يتفاوت، ويختلف، ولا يعرف تأثير أيهما أكثر بالضبط. مثلا فاختلاف الصفات الجبلية بين الإخوة من نفس العائلة الذين يعيشون في ذات البيئة، لا يمكن رده إلى عامل البيئة فقط، بل هذا يرجع هذا الاختلاف إلى

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٤، ص/٥٢. بتصرف يسير.

عوامل وراثية. وبالعكس من ذلك فالتوائم المتماثلة التي تأتي من ذات البويضة، إذا وضعوا منذ الصغر في بيئات مختلفة تمام الاختلاف، فإن الاختلافات التي نجدها في صفات التوائم المتماثلة يمكن ردها إلى العوامل البيئية.[1]

وقد أشار القرآن إلى تأثير البيئة على ضلالة الإنسان وكفره؛ كما جاء في قوله تعالى عن بلقيس ملكة سبأ **{وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ}** [سورة النمل/ ٤٣] أي صَدَّها عن دين الإسلام كونها من أولاد الكفار، نشأت في بيئة كافرة، وهذا أثرت على عقيدتها.[2] وقوله: **{إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ}** [سورة النمل/ ٤٣]دلالة على تمكنها من عبادة الشمس، وكان ذلك التمكن بسبب كونها من سلالة المشركين، فالشرك منطبع في نفسها بالوراثة، وذلك بتأثير البيئة، فالكفر قد أحاط بها بنشأتها عليه، وبكونها بين قوم كافرين.[3]

والبيئة يمكن تقسيمها إلى عدة عوامل؛ عامل المجتمع، عامل الأسرة، عامل الصديق، وعامل الجغرافيا.

١- الأسرة

فالأسرة هي بيئة اجتماعية مهمة يولد فيها الطفل ويأخذ الخطوة الأولى في الحياة؛ حيث يتلقى الطفل التعليم والثقافة اللازمين لتكوين شخصيته فيها؛ فيتم في هذه المرحلة تقديم التعليم والتربية للطفل والذي سيؤسس شخصيته. فالأم والأب وأفراد الأسرة الآخرون هم نماذج مثالية للطفل في هذه البيئة الطبيعية، فيحاول الطفل تنمية شخصيته والصفات الموجودة فيه بتقليد ما يراه في هذه البيئة الأسرية، ومن المهم لنمو الصفات الإيجابية في الطفل أن يكون النموذج المثالي في الأسرة إيجابيًا وصحيًا.[4]

وقد اعتنى الإسلام بالبيت وتكوين الأسرة باعتبارهما محضن الطفولة الأول، وموطن التأثير الأكبر في مجال التربية، وتتضح لنا هذه العناية من مراجعة تشريعات الإسلام وتنظيماته وتوجيهاته التي كفلت قيام الأسرة على عقد شرعي يقام باسم الله تعالى، وقد وقفت أمام العلاقات الغير المشروعة التي تخرب قيام الأسرة، وتجعلها مفقودة في المجتمع، فالمجتمع الذي يسمح بإقامة علاقات غير شرعية لا يتكون فيه الأسرة الصالحة التي يمكن للطفل أن يتربى فيها، وفي

---

[1] حيدر، **الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي**، ص/ ١٢٠.

[2] السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين المصري الشافعي (ت ٦٤٣ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار النشر للجامعات، ط/١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، ج/٢، ص/١٦.

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١٩، ص/٢٧٤-٢٧٥.

[4] Şentürk, Habil, Din Pisikolojisi, İstanbul: Esra yayınevi,1997, s/75.

إقامة العلاقات المشروعة حفظ الأنساب، واطمئنان الأب إلى أبنائه واطمئنان الأبناء إلى أبويهم، وذلك عنصر مهم من عناصر الاستقرار في نفس الطفل.[1]

ونجد تأثير الأسرة السلبي، في القرآن الكريم في تقليد المشركين لآبائهم الكافرة، قال تعالى: **{وَاِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَّا اَنْزَلَ اللهُ قَالُوا، بَلْ نَـتَّبِـعُ مَّا اَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَاءَنَاۤ اَوَلَوْ كَانَ اٰبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ}** [سورة البقرة/ ١٧٠] يعني أن البيئة الأسرية التي تربوا فيها، أدى بهم إلى الكفر والشرك، وفي تكون الصفات السلبية فيهم. لكنهم لا يعذرون بذلك، فمهما كانوا في بيئة أسرية فاسدة فعليهم التعقل والتفكر والرجوع إلى الفطرة حتى يتخلصوا من هذا التأثير السلبي.

وعنما ننظر في آيات القرآن نجد نصائح سيدنا لقمان لابنه كنموذج مثالي لتأثير الأسرة والأب على ولده ليتكون فيه الصفات الحميدة: **{وَاِذْ قَالَ لُقْمٰنُ لِابْنِهٖ وَهُوَ يَعِظُهٗ يٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِۚ حَمَلَتْهُ اُمُّهٗ وَهْنًا عَلٰى وَهْنٍ وَفِصَالُهٗ فِي عَامَيْنِ اَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَؕ اِلَيَّ الْمَصِيرُ}{وَاِنْ جَاهَدَاكَ عَلٰٓى اَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ اَنَابَ اِلَيَّۚ ثُمَّ اِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }{يٰبُنَيَّ اِنَّـهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُؕ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} {يٰبُنَيَّ اَقِمِ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلٰى مَٓا اَصَابَكَۜ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُورِۚ}{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًاۜ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍۚ} {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَۜ اِنَّ اَنْكَرَ الْاَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}** [سورة اللقمان/١٣إلى١٩] فقد جمع لقمان الحكيم في وصايا ابنه بين أصول العقيدة وأصول الشريعة والأخلاق.[2] وذلك يشير إلى الدور المهم للأب والأسرة في تكوين شخصية الطفل وتخلقه بالخلق الحسن.

وقد وضع الإسلام منهج بناء الأسرة الإسلامية في قوله ﷺ: {إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ}[3]، يعني بناها على أساس الدين والتقى والصلاح.[4] فالأوصاف الحميدة في الزوج أو الزوجة تعين على تربية الأطفال تربية صحيحة؛ إلا أن الزواج المبني على أمور مادية فقط مثل الجمال والمال يؤدي إلى فساد التربية، فالأطفال الذين يعانون من نقص في شخصيتهم بسبب فساد الأسرة لا

---

[1] قطب، محمد، **الدراسات في نفس الإنسانية**، ج/٢، ص/٣٣٢.

[2] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط للزحيلي**، دار الفكر – دمشق،١٤٢٢ هـ ج/٣، ص/٢٠٢٦.

[3] أخرجه الطبراني **في المعجم الأوسط**، باب الألف من اسمه أحمد، رقم الحديث ٤٤٦. حسنه الألباني.

[4] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، بلوغ **المرام من أدلة الأحكام**، **دار** الفلق – الرياض، ١٤٢٤ هـ، ص/٢٨.

يتأقلمون إيجابيا مع البيئة. من أجلها يجب أن يكون الوالدان ذوي شخصية طيبة كما نصح الشرع، وأن يقيم بيتهما على أساس المودة والرحمة؛ يقول الله تعالى **{وَمِنْ اٰيَاتِهٖٓ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجاً لِتَسْكُنُٓوا اِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةًۭ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [سورة روم/٢١] ليكون رباطهم أقوى فيما بينهم وينشأ في هذا البيت أطفال ذو شخصية كاملة وصفات إيجابية.

ويدل على تأثير الأسرة في تكوين صفات الإنسان، أو التأثير على صفاته الجبلية والفطرية، هذا الدعاء الذي حث النبي ﷺ عليه عند الزواج {اللهم إني أسألُك خَيْرَها، وخَيْرَ ما جَبَلْتَها عليه، وأعوذُ بِكَ من شَرِّها، وشَرِّ ما جبلتَها عليه}[1] يعني خير ما خلقتها عليه وطبعتها عليه من الأخلاق والصفات الحميدة، وشر ما جبلتها عليه من الأوصاف القبيحة والأخلاق الذميمة.[2] فالصفات الجبلية الحميدة في الزوجة العقل والعفة والحياء؛ فالفطانة ومعرفة مصالح المنزل، من فروع العقل، ورقة القلب، وطيب الكلام وطاعة الزوج من فروع العفة، وستر العيوب من فروع الحياء.[3]

٢- المجتمع

وقد حث القرآن الكريم إلى الترابط مع المجتمع الصالح إشارة لدوره في تكوين شخصية الإنسان وتكوين الصفات الطيبة فيه، إذ يقول تعالى:**{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْۚ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ وَكَانَ اَمْرُهُ فُرُطاً}** [سورة الكهف/٢٨] ويقول تعالى: **{يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}** [سورة التوبة/١١٩]

وقد اهتم الإسلام اهتماماً واضحاً بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، كما دعا إلى اجتناب المجتمعات الفاسدة، والعمل على إصلاحها قدر المستطاع، لما لها من تأثير بالغ الأهمية في شخصية الإنسان، إلا أن هذا لا يعني أن السلوك الإنساني خاضع للعوامل البيئية مطلقا؛ فقد ضرب الله لنا مثالا مميزا ونموذجا رائعا للشخصية القوية وهي السيدة آسيا زوجة فرعون الطاغية، التي امتدحها الله بقوله: **{وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ اٰمَنُوا امْرَاَتَ فِرْعَوْنَۘ اِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ**

---

[1] أخرجه **أبي داود في سننه**، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، رقم الحديث:٢١٦٠، حديث صحيح.

[2] المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (ت ١٤١٤هـ)، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط/٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م، ج/٨، ص/١٩٩.

[3] المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ١٣٥٦ هـ، ج/٣، ص/ ٢٣٧.

لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[سورة التحريم/١١] [١]

فالإنسان الذي يعيش في مجتمع فاسد، لكنه حافظ على إيمانه وتقواه وصفاته الصالحة بعوامل أخرى منها سلامة فطرته وجبلته، واستخدامه لعقله، عليه أن يخرج من هذه البيئة الفاسدة، مهما كان صالحا وحسن الخلق؛ فقد دعت زوجة فرعون ربها للتخلص من هذه البيئة الفاسدة، مع أنها كانت مؤمنة متقية حافظت على إيمانها وتقواها في هذه البيئة الفاسدة.

٣- عامل الصديق

إن أهم عامل مجتمعي بعد الأسرة الذي يؤثر في شخصية الإنسان وصفاته، هو الصديق، وقد أشار النبي ﷺ إلى التأثير الكبير للصديق والخليل على الإنسان، إلى درجة أنه أسند دين الإنسان إلى خليله بقوله: {الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ}[٢] والخلق من صميم الدين، فإذا كان المرء على دين خليله؛ فإنه سيكون على خلق خليله وصديقه، وتتأثر صفاته الفطرية والجبلية بصفات صاحبه، فالإنسان مهما كان سخيا بجبلته فإنه إذا صاحب البخلاء وخاللهم، فإن صفة السخاء الموجودة فيه ستتأثر وتتغير، وربما تحول إلى بخيل بتأثير أصدقائه، وهذا معروف مشاهد في واقع الحياة.

وقد بين القرآن الكريم لنا ما يترتب على اتخاذ الصداقات السيئة التي تؤدي إلى تدمير المرء نفسه ويسبب إلى هلاكه؛ يقول الله تعالى: **{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ اَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً} {لَقَدْ اَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ اِذْ جَاءَنِيْ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْاِنْسَانِ خَذُولاً}** [سورة الفرقان/٢٦ إلى ٢٩]

إن دور الصديق في تكون طبع الإنسان وخلقه دور مهم؛ فإن الطبع يسرق من الطبع، وما أسرع أن يسير الإنسان في الاتجاه الذي يهواه صاحبه، فالأخلاق تعدي وتسري مثل عدوى الأمراض في الأجسام.[٣]

وحماية للخلق الحسن والعادات الكريمة أمر رسول الله بتخير الجليس، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لَا

---

[١] كوكب بنت عبد الله بن راشد الشعيلي، سليمان بن علي بن عامر، **الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٦م، ص/٦٩.

[٢] أخرجه **أبو داود في مسنده**، وما أسند أبو هريرة، رقم الحديث:٢٦٩٦، إسناده صحيح.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المس، رقم الحديث:٢١٠١.

يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ: إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ: يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً.} [1]

وواضح في هذا الحديث، النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما.[2] فالطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، من حيث لا يدري صاحبه، فالجليس الشرير إن لم يصبك شيء من شره أصابك بالطبع بعض طباعه القبيحة، فاكتسبتها بمجالسته وأنت لا تدري.[3]

٤- البيئة الجغرافية

فالإنسان يتأثر بالبيئة المكانية التي يعيش فيها؛ فأهل البدو والقرى يختلف طبعهم ومزاجهم وصفاتهم عن طبع أهل المدن وصفاتهم، وقد بين ابن خلدون في مقدمته الرائعة تأثير البيئة الجغرافية على الإنسان، وأجاد، وليس هذا محل بحثنا وللتفصيل ينظر هناك.[4]

وهناك نموذج في القرآن يبين أثر البيئة المكانية في وجود الطباع الفاسدة والصفات الجبلية المذمومة، وهو نموذج الأعراب البدويين فقد وصفهم الله تعالى بشدة وكفرهم ونفاقهم، وهذا يرجع إلى طبيعتهم التي اكتسبوها من بيئتهم المكانية؛[5] قال **تعالى {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [سورة توبة/٩٧] فالأعرابي: هو البدوي، سواء كان من العرب أو من مواليهم، فمن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومن نزل البادية فهم أعراب، والذي يدل على الفرق وجوه: وقد أرجع الرازي سبب طباعهم الفاسدة، وسبب شدة كفرهم ونفاقهم إلى كونهم من **أهل البدو يشبهون الوحوش، واستيلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم، والفرق بين أهل الحضر والبادية كالفرق بين الفواكه الجبلية والفواكه البستانية.**[6]

ونجد تأثير البيئة الجغرافية على طبع الإنسان في الأحاديث النبوية، كما جاء عن النبي صلى الله **عليه** وسلم في أهل اليمن قال: {أتاكم أهل اليمن، أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان،

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢١٠١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٦٢٨).

[2] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ج/٤، ص/٤٢٤.

[3] الرسلان، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن المقدسي الرملي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ)، **شرح سنن أبي داود**، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط/١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م، ج/١٨، ٥٢١.

[4] ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج/١، ص/ ٢٥١.

[5] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/١١، ص،١١-١٢.

[6] فخرالدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج/ ١٦، ص/١٢٥.

والحكمة يمانية}[1] الرقة ضدّ الغلظ، واللين مقابل القسوة فاستعيرت في أحوال القلب، فإذا نبا عن الحق وأعرض عن قبوله ولم يتأثر بالآيات والنذر يوصف بالغلظ، فكأنه لا ينفذ فيه الحق وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين، فكأن حجابه رقيق لا يأبى نفوذ الحق وجوهره لين يتأثر بالنصح.[2] فأهل اليمن بعوامل البيئة الجغرافية تكون لديهم صفات،طيبة، وأصبح طبعهم رقيقاً. لكن قد يكون مع البيئة الجغرافية عوامل أخرى وراثية أو غيرها.

[1] أخره البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم الحديث:٤١٢٩.

[2] شهاب الدين القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، (ت ٩٢٣هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط/٧، ١٣٢٣ هـ، ج/٦، ص/٤٤٠.

المبحث الثالث حكمة تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية وصفات الأنبياء الجبلية واصطفاؤهم من الله

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول حكمة تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية

المطلب الثاني صفات الأنبياء الجبلية واصطفاؤهم من الله

المطلب الثالث نماذج قرآنية من صفات الأنبياء الجبلية

المطلب الأول حكمة تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية

إن الله تعالى خلق الإنسان ومنحه بعض الصفات الجبلية الخاصة به، فلا يخل ذلك بعدل الله؛ لأن هناك حكما كثيرة في تخصيص الله بعض الناس ببعض الصفات الجبلية، وتفاوت الناس فيها؛ نذكر منها:

اختلاف التنوع: فالكون الذي نعيش في جزء صغير منه، خلقه الله سبحانه، مختلف الأنواع والصور والألوان، وهذا الاختلاف ليس اختلاف تضارب وتناقض، بل هو اختلاف تنوع. وكذلك طبيعة الحياة، فهي أيضا تختلف وتتغير بحسب مؤثرات متعددة، في المكان والزمان. فالاختلاف سنة كونية اقتضتها الحكمة الإلهية، قال الله عز وجل: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}** [سورةهود/ ١١٨][1]

وكذلك جعل الله الناس مختلفين من حيث الصفات الجبلية، ولو أراد الله تعالى لخلق جميع الناس متساويين في كل شيء، لكنه خلقهم على صفات مختلفة من لطفه، فهذا التنوع نعمة ولطف من رحمته تعالى؛ وفي ذلك يقول الراغب الإصفهاني: "الأشياءُ كلها متساوية غير متفاوتة من حيث إنها مصنوعة بالحكمة، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: **{مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ}** [سورة الملك/٣]. ومختلفة من حيث إن كل نوع يختص بفائدة، وكل نوع وإن اختلف، فما من شيء أكثر اختلافاً من الناس"[2] قال الله تعالى: **{وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}** [سورة النوح/١٥]، وقال تعالى: **{وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}** [سورة الزخرف/ ٣٢]، وقال سبحانه وتعالى:

---

[1] عمر بن عبد الله كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص/٣٨.

[2] الراغب الأصفهانى، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، ص/٥٣-٥٤.

{انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} [سورة الإسراء/٢٩].

الامتحان والابتلاء: يقول الله تعالى **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}** [سورة الملك/ ٢]، إن الله تعالى لم يخلق الناس بصفاتهم التي زودهم بها عبثاً، وإنما خلقهم لغاية، وعندما نبحث عن هذه الغاية من خلال الصفات الجبلية الخاصة التي خص الله بها الناس، يتبين لنا أن الغاية من خلق الناس بهذه الصفات الجبلية الخاصة، أن تؤهلهم للامتحان، وأن يمتحنهم الله في ظروف هذه الحياة الدنيا.

فقد اقتضت حكمة الله تعالى امتحان الإنسان، عندما منحه تلك الصفات الجبلية الخاصة التي تؤهله لذلك؛ إذ يقول تعالى: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}** [سورة المؤمنون/ ١١٥-١١٦]، فالله تعالى جعل بحكمته أساليب الامتحان ومظاهره متنوعة. فقد يمتحن طائفة من الناس بنوع منها، في حين أنه يمتحن طائفة أخرى بنوع آخر منها، وطائفة ثالثة بنوع ثالث.[1]

ويدل على ذلك آيات كثيرة؛ يقول سبحانه تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ}** [سورة المائدة/٤٨]، أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم، أي امتحنكم، ليختبر الغنيّ في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.[2] ويقول تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }** [سورة الأنعام/١٦٥] أي فاوت بينكم في الأرزاق والأموال، والقوات، والأخلاق والمحاسن والمساوئ والمناظر والأشكال والألوان، وغير ذلك، وكل ذلك التفاوت بين الناس إنما هو ليختبرهم الله تعالى، ويرى من هو يستعمل صفاته الموجودة فيه في سبيله.[3]

التكامل بين الخلق: من حكمة الله تعالى أنه جعل بعض خلائقه محتاجاً إلى البعض، فكذلك جميع مصنوعات الله تعالى محتاج بعضها إلى بعض، ليعلم الإنسان أنه لا يستغنى شيء بنفسه، ويقوم بذاته غير الله تعالى، ولو خلق الله تعالى الناس كلها لتساوى الناس في نفس الدرجة، ولم يتفاضلوا، وفي تساوي الناس اختلال نظام الكون؛ فلو لم يكون فيهم رؤساء متبعون، وأتباع

---

[1] ينظر: حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دار القلم- دمشق، ط١٤، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص/٥١٤.

[2] القاسمي، **محاسن التأويل**، ج/ ٤، ص/٥٥٨؛ **تفسير ابن كثير**، ج/٣، ص/ ٤٨٤.

[3] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج/٢، ص/٣٧١.

مطيعون لاختل النظام.[1] ولو كان جميع الناس لديهم الرغبة في حب التطلع للمعرفة والعلم، فلن يكون هناك من يقوم بالأعمال التجارية والعملية.

يقول الراغب الأصفهاني"الإنسان الواحد لا توصّل له إلى إعداد جميع ما يحتاج إليه ليعيش العيشة الحميدة، فلم يكن بُدُّ الناس من تشارك وتعاون، فجعل لكل قوم صنعة وهيئة مفارقة للصنعة الأخرى، ليقتسموا الصناعات بينهم، فيتولى كلٌّ منهم صنفاً من الصناعات فيتعاطاه باهتزاز... فاقتضت الحكمة أن تختلف جثثهم وقواهم وهممهم، فيكون كلٌّ ميسرٌّ لما خلق له.. قال تعالى: **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/٨٤]...وقال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}** [سورة هود/ ١١٨]."[2]

وقد أشار النبي ﷺ إلى ما يتعلق من المصلحة بتباينهم واختلاف طبقاتهم فقال: **"لا يزالُ الناس بخيرٍ ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا".**[3] فقد جعل الله الناس متفاوتين في خلقتهم وصفاتهم، فليس لأحد منهم أن يعترض على درجة هبته، لأن الله يختص برحمته من يشاء، وخلقه بحكمته العظيمة في شأن التفاوت في الهبات والخصائص. ومن الحكمة أن يتم نظام الكون بهذا الإبداع الرائع الذي هو عليه، وأن تتكامل عناصره وأجزاؤه المختلفة تكاملا لا نقص فيه ولا خلل، وأن يكون على أمثل صورة يتم فيها تحقيق ظروف الامتحان الرباني.[4] يقول الله تعالى **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا اٰتٰيكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}** [سورة الأنعام/١٦٥] ليخبركم فيما أنعم به عليكم من درجات النعم حتى يظهر للناس كيف يضع أهل النعمة أنفسهم في مواضعها اللائقة بها وهي المعبر عنها بالدرجات. والدرجات مستعارة لتفاوت النعم.[5] فالله يريد أن يرى عبده كيف يقابل هذه النعم.

خلاصة القول: إن الله ربنا، يخلق ما يشاء ويعلم كيف يخلق، ولم يخلق شيئا عبثا، خلق كل شيء من مخلوقاته بقدرته العظيمة بأكمل شكل؛ يقول تعالى **{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}** [سورة النمل/٨٨]؛ وخلق بالحكمة العالية، ولم يظلم أحدا وجعل الناس متفاوتين في الصفات لكي تؤهلهم الامتحان، وخلق فيها بعض الصفات الذميمة أيضا؛ لأنها لو أزيلت بالكلية عن الإنسان،

---

[1] أبوالحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، **البرهان في وجوه البيان** (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر)، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م، ص/٦٢.

[2] الراغب الأصفهانى، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، ص/٥٣-٥٤.

[3] أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٥٠٦/٦، رقم ٩٠٨٤).

[4] ينظر: حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص/ ٥١٤.

[5] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٨، ص/٢١١.

يكون ناقصا؛ لأن كمال الإنسان أن تغلب صفاته الحميدة، وبهذا فضل نوع الإنسان على نوع الملك.[1]

وأيضا من حكم خلق تلك الصفات ما يقوله الإمام الغزالي "ولو تعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه، وقد قال الله تعالى: **{أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}** [سورة الفتح / ٢٩] ولا تصدر الشدة إلا عن غضب، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى: **{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}** [سورة آل عمران/١٣٤] ولم يقل: والفاقدين الغيظ."[2] وبالتالي فالله تعالى لا يريد منا تغيير الصفات الجبلية تماما، وإزالتها كليا، وهي محال، بل يريد تطويرها وتنميتها إن كانت حسنة، وتربيتها والتقليل من غلوائها إن كانت سيئة.

عدل الله تعالى في تفاوت الناس في الصفات الجبلية: ويفهم مما ذكرناه في الحكمة أن تخصيص الله لبعض عباده ببعض الصفات ليس ظلما وإنما هو عدل محض، ولا يخل ذلك بعدل الله في قضائه وتقديره؛ لأن الله لو أراد لخلق كل الناس على شكل واحد لكنه خلق الناس بصفات مختلفة، طبع بعض الناس على الصفات الجميلة، ولم يمنح ذلك للآخرين، قدم بعض الأشخاص ببعض الميزات، بينما كان البعض الآخر محاطًا بميزات أخرى. وهذا لا يدل على أن ذلك يخل بعدالته، بل على العكس فهذا لطف ونعمة منه للبشرية.

فلنفترض أن جميع الأشخاص لديهم خصائص قيادية، فلن يكون هناك أشخاص يحكمون وسيتم الأمر بانهيار النظام، وسيكون هناك فوضى كبيرة من أجل القيادة. وبنفس الطريقة، دعنا نفكر أن جميع الناس لديهم الرغبة في حب التطلع للمعرفة والعلم، فلن يكون هناك من يقوم بالأعمال التجارية والعملية. إلا أن الله تعالى الرحيم بعباده، لما جبله على تلك الصفات، لم يتركه لوحده، بل بين في كتابه العزيز أنه أعطى الإنسان العقل ليتدبر هذا القرآن الكريم ويتأمل في توجهاته، وبذلك يقدر أن يميز بين الخير والشر في استعمال صفاته؛ كما أشار في هذه الآية أن الله تعالى هداه إلى طريق الخير والشر؛ يقول الله تعالى **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}** [سورة إنسان/٣]. ويقول تعالى: {وهدينه النجدين} [سورة بلد/١٠].

فلكل إنسان نوع امتحان مناسب للصفات التي منحها الله إياها، فكان عدل الله في ابتلائه واختباره في حدود ما اختصه الله به من هبات، واستعدادات، مادية كانت أو معنوية، وذلك كله

---

[1] ملا قاري، مرقاة **المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج/١، ص/٢٠١. بتصرف يسير.

[2] الغزالي، **إحياء العلوم الدين**، ج/٣، ص/٥٧ إلى٦٠.

ضمن معادلات رياضية دقيقة، لا تستطيع القدرات الإنسانية مهما بلغت متابعة حسابها، وذلك لأن المحاسبة الربانيـة الدقيقة لا تهمل أي جانب من جوانب الإنسان التي تتأثر بإرادتـه.[1]

فالله لا يظلم أحدا ويحاسب كل إنسان حسابا دقيقا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة؛ وفي هذا المعنى يقول تعالى: **{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}** [سورة الكهف/ ٤٩] ويقول تعالى **{إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً}** [سورة النساء/٤٠] ويقول تعالى: **{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ }** [سورة المؤمن/٥٨].

المطلب الثاني صفات الأنبياء الجبلية واصطفاؤهم من الله

إن الأنبياء كانوا من خيرة الناس طباعا، وكانوا يملكون صفات جبلية حسنة من خلقتهم؛ ولذلك اصطفاهم الله تعالى، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}** [آل عمران/٣٣] وقال تعالى: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}** [سورة الحج/٧٥] وأدل على ذلك أنهم كانوا يملكون تلك الصفات الطيبة والطباع الحسنة قبل نبوتهم، وقد كان الرسول ﷺ أمينا في قومه قبل نبوته، يقول الله تعالى: **{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ}** [سورة الأنعام/١٢٤] فرسل الله يختارهم الله من أشرف الناس طباعا، وأزكاهم معـادن.[2]

إن صفات الأنبياء منحة ربانية لهم، بفضل استعداد فطري، وتحتل فكرة الخير في نفوسهم مكانا سنيا عندهم، والعمل الصالح عندهم موضوع حب ومتعة، وهذه الحال العلوية هي حال كبار الصالحين، التي فطرهم الخالق عليها، وبخاصة الرسل، الذين اصطفاهم الله منذ البدء، لتبليغ الرسالة الإلهية.[3]

ومع ذلك فهناك خلاف بين العلماء في اختيار الأنبياء، هل هو راجع إلى فضل نفوسهم على باقي نفوس البشر أم أن نفوس الناس متساوية فالله تعالى يختار رسله منها كما يريد ويفضلهم؛ وفي ذلك يذكر الرازي قولين:

---

[1] حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص/ ٥١٣-٥١٤. بتصرف.

[2] الغزالي، محمد، **خلق المسلم**، ص/٤٦.

[3] دراز، محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن**، مؤسسة الرسالة- دار البحث العامية، ٢٠٠٥-م، ص/ ٥٩٦.

القول الأول: إن النفوس والأرواح متساوية في تمام الماهية، فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون البعض تشريف من الله وإحسان وتفضل.

القول الثاني: إن النفوس البشرية مختلفة بجواهرها وماهياتها، فبعضها خيرة طاهرة من علائق الجسمانيات، مشرقة بالأنوار الإلهية مستعلية منورة، وبعضها خسيسة كدرة محبة للجسمانيات، فالنفس ما لم تكن من القسم الأول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة.[1]

إلا أن قوله تعالى: **{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** [سورة الأنعام/١٢٤]، تفيد دلالة واضحة على أن نفوس الأنبياء فاضلة، وليسوا متساويين لنفوس البشر، فإن للرسالة موضعا مخصوصا لا يصلح وضعها إلا فيه، فمن كان مخصوصا موصوفا بتلك الصفات التي لأجلها يصلح وضع الرسالة فيه كان رسولا وإلا فلا، والعالم بتلك الصفات ليس إلا الله تعالى، ولذلك لا يعلم أحد من هو أهل للنبوة إلا الله تعالى. وفي هذه الآية تنبيه لانحطاط نفوس سادة المشركين عن نوال مرتبة النبوءة وانعدام استعدادهم.[2]

ونسرد الآن أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية كالتالي:

يقول الطبري في تفسير الآية: "فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم."[3]

ويقول البيضاوي: "النبوة ليست بالنسب، والمال، وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالاته من علم أنه يصلح لها، وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه."[4]

ويقول ابن عاشور: "الرسالة ليست مما ينال بالأماني ولا بالتشهي، ولكن الله يعلم من يصلح لها ومن لا يصلح... فإن النفوس متفاوتة في قبول الفيض الإلهي والاستعداد له والطاقة على الاضطلاع بحمله، فلا تصلح للرسالة إلا نفس خلقت قريبة من النفوس الملكية، بعيدة عن رذائل الحيوانية، سليمة من الأدواء القلبية، فالآية دالة على أن الرسول يخلق خلقة مناسبة لمراد

---

[1] فخرالدين رازي، **مفاتيح الغيب**، ج/ ١٣، ص/ ١٣٦- ١٣٧. بتصرف.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٨، ص/ ٥٤- ٥٥.

[3] الطبري، **جامع البيان**، ج/،١٢، ص/ ٩٦.

[4] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج/ ٢، ص/ ١٨١.

الله من إرساله، والله حين خلقه عالم بأنه سيرسله، وقد يخلق الله نفوسا صالحة للرسالة ولا تكون حكمة في إرسال أربابها، فالاستعداد مهيأ لاصطفاء الله تعالى."[1]

فالأنبياء طبائعهم مهيئة للنبوة، وقد خلقوا بصفات عالية، إلا أن هذا ليس معناه أن النبوة أمر كسبي يصل إليه الإنسان بالجهد والعمل مهما كان سليم الطبع، ومهيئا بصفاته؛ فمهما كانت نفس الإنسان عاليا ومهيئا بصفات الأنبياء فلا يجب على الله تعالى، أن يجعله نبيا، كما يقول علماء الكلام: إن الاستعداد الذاتي ليس بموجب للرسالة، خلافا للفلاسفة، الذين يقولون إن مرتبة النبوة يمكن الوصول إليها بالجهد والسعي.[2]

والقول بكون النبوة كسبية، مخالف لصريح القرآن الكريم، فالقرآن يبين بأن اختيار الأنبياء والرسل محض فضل الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [آل عمران/٧٣-٧٤] ردا على اليهود الذين حسدوا على بعثة النبي محمد ﷺ، ولم يتقبلوا رسالته. والمراد بالفضل في الآية الرسالة، وقوله "يؤتيه من يشاء" أي هو تفضل موقوف على مشيئته، وهذا يدل -كما يقول الرازي- "على أن النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق، لأنه تعالى جعلها من باب الفضل الذي لفاعله أن يفعله وألا يفعله"[3]

المطلب الثالث نماذج قرآنية من صفات الأنبياء الجبلية

وقد جاء وصف الأنبياء كثيرا في القرآن الكريم بصفات جبلية حسنة ترجع إلى طبعهم، وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم أن العديد من الأنبياء أُعطوا مسؤوليات ووكلوا بوظائف حسب طباعهم، وصفاتهم الجبلية؛ وأن الأنبياء ليسوا على درجة واحدة وصفات وطباع واحدة، فقد فضل الله بعضهم على بعض سواء في الصفات الجبلية أو في غيرها يقول تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}** [سورة البقرة/٢٥٣].

وفي ذلك يقول الرازي "فلا جرم كانت مراتب الرسل مختلفة؛ فمنهم من حصلت له المعجزات القوية والتبع القليل، ومنهم من حصلت له معجزة واحدة أو اثنتان، وحصل له تبع عظيم، ومنهم من كان الرفق غالبا عليه، ومنهم من كان التشديد غالبا عليه." [4]

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٨، ص/ ٥٤- ٥٥.

[2] المصدر السابق، ج/٨، ص/ ٥٤- ٥٥.

[3] فخرالدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج/٨، ص/٢٦١-٢٦٢.

[4] المصدر السابق، ج/ ١٣، ص/ ١٣٦- ١٣٧.

وقد أشار القرآن إلى بعض الصفات الموجودة في الأنبياء، وهي الصفات التي قررت في كتب العقيدة بأنها صفات الأنبياء، منها الأمانة والفطانة؛ ونجد صفة الأمانة واضحة عند رسول الله، فقد كانت الأمانة طبعا وصفة جبلية فيه، وكان يلقب بين قومه بالأمين في حياته الأولى قبل البعثة. وكذلك نشاهد مخايل الأمانة على موسى حين سقى لابنتي الرجل الصالح ورفق بهما، واحترم أنوثتهما، وكان معهما عفيفا شريفا. يقول الله تعالى: **{ فَسَقٰى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلّٰٓى اِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ اِنِّي لِمَآ اَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾فَجَآءَتْهُ اِحْدٰيهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ اِنَّ اَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ اَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۜ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَۙ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾قَالَتْ اِحْدٰيهُمَا يٰٓاَبَتِ اسْتَأْجِرْهُۖ اِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْاَمِينُ ﴿٢٦﴾}** [سورة القصاص/ ٢٤ إلى٢٧]

وقد وصف الله بعض الأنبياء بشخصيتهم القيادية، منهم سيدنا يوسف، يقول الله تعالى **{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهٖٓ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۚ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ}** [سورة يوسف/ ٥٤]. لذا لما علم نبي الله يوسف عليه السلام من نفسه القدرة على إدارة أمور البلاد وتيسير شؤون العباد بعد أن قال له الملك: **{اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ}** [سورة يوسف/ ٥٤] **{قَالَ اجْعَلْنِي عَلٰى خَزَآئِنِ الْاَرْضِۚ اِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}** [سورة يوسف/ ٥٥] ومنهم سيدنا موسى، فقد خبرت بنت شعيب عليه السلام مكنة نبي الله موسى عليه السلام على رعي الغنم وأمانته، قالت تنصح به أباها وتوصي به: {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [سورة القصاص/ ٢٦].[1]

وكذلك وصف الله الأنبياء بالشجاعة وأنهم لا يخافون، ولا يكون فيهم صفة الجبن؛ يقول تعالى: **{يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ}** [سورة النمل/١٠]؛ فإذا كان الأنبياء لا يخافون بطبيعتهم وصفاتهم الجبلية، فلماذا خاف موسى؛ فالجواب عن ذلك هو أن الشجاعة هي الصفة الغالبة على الأنبياء، وذلك لا يدل على عدم خوفهم أصلا، لأنهم بطبيعتهم الإنسانية قد يخافون، والنبي موسى قد خاف بطبيعته الإنسانية، لكن هذا لا يدل على وجود صفة الخوف والجبن فيه؛ فإن الأنبياء ليسوا جبناء ولا يوصفون بالجبن، فليس في النهي حط لمرتبة موسى عليه السلام عن مراتب غيره من المرسلين وإنما هو جار على طريقة: مثلك لا يبخل.[2]

---

[1] فؤاد، محمد ضائر، **الشاكلة الشخصية وأثرها في الاجتهادات الشرعية**، مجلة البحث العامي الإسلامي، مركز البحث العامي الإسلامي، ٢٠٢١، ص/١٣٤.

[2] ابن عاشور، التحرير **والتنوير**، ج/١٩، ص/٢٢٨=٢٢٩.

والأنبياء كما أنهم يوصفون بصفات حسنة فلا يوصفون بصفات جبلية خبيثة، وذلك أنهم لا يوصفون بالمكر والغدر والحسد وقد الإشارة إلى عدم وجود تلك الصفات في الأنبياء في قوله تعالى: **{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** [سورة الأنعام/١٢٤] يقول الرازي: "فيه تنبيه على دقيقة أخرى: وهي أن أقل ما لا بد منه في حصول النبوة والرسالة البراءة عن المكر، والغدر، والغل، والحسد. وقوله **{لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ}** [سورة الأنعام/١٢٤] عين المكر والغدر والحسد، فكيف يعقل حصول النبوة والرسالة مع هذه الصفات؟"[١]

ومن الإشارات القرآنية إلى عدم وجود الصفات الجبلية السيئة عند الأنبياء، هو كون الأنبياء لم يختاروا من الأعراب وأهل البادية الذين طباعهم قاسية، ومائلون إلى العنف والشدة، وإنما اختيروا من أهل القرى والمدن؛ كما جاء في قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ}** [سورة يوسف/١٠٩] يقول ابن كثير: "ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا وإنما كانت البعثة من أهل القرى"[٢]

وقد ذكر في القرآن نماذج من الأنبياء الذين يملكون بعض الصفات الجبلية التي ترجع إلى طبيعتهم، وأنهم وكلوا بوظائف ومسؤوليات حسب طباعهم؛ فبعض الأنبياء مثلاً كانوا ملوكا يملكون البلاد ويديرونها مع كونهم أنبياء مثل سيدنا داود وسليمان، قال تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ}** [سورة النمل/١٤] ومنهم أنبياء وما كانوا يملكون من أمر الإدارة والسياسة شيئا. وكذلك نجد أن النبي يوسف كان وزيرا لمصر وقد عبر عن صلاحيته ووجود استعداداته لهذه الوظيفة. فالنبي نوح قد أدى واجباته النبوية بلا كلل لمدة ألف عام تقريبًا فكان صبورًا، ومع ذلك نرى أن النبي يونس لم يستطع تحمل إنكار الناس وتركهم. وخير مثال على ذلك أن قيادة النبي موسى كانت أكثر من أخيه هارون، فلما ذهب للقاء ربه وجد قومه يعبدون العجول؛ لأن النبي هارون كان أكثر ليونة من شخصية موسى. وهكذ نجد أن الأنبياء أيضا اختارهم الله وكلفهم بحمل بعض المسؤوليات والوظائف بحسب طباعهم وصفاتهم الجبلية.

---

[١] فخرالدين رازي، **مفاتيح الغيب**، ج/ ١٣، ص/ ١٣٦- ١٣٧.

[٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج/٤، ص/٢٠٢.

الفصل الثالث تكليف الإنسان من ناحية صفاته الجبلية وعلاقته بالقضاء والقدر

وقد جاء هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول أثر صفات الإنسان الجبلية في تكليفه وإمكانية تغير الصفات الجبلية

المبحث الثاني علاقة القضاء والقدر بالصفات الجبلية وأثرها في الهداية والضلالة

المبحث الأول أثر صفات الإنسان الجبلية في تكليفه وإمكانية تغير الصفات الجبلية

وقد جاء هذا المبحث في أربعة مطالب كالتالي:

المطلب الأول معنى التكليف وعلاقته بصفات الإنسان الجبلية

المطلب الثاني موقف القرآن من تكليف الإنسان فيما يتعلق بجبلته

المطلب الثالث الثواب والعقاب في الأوصاف الجبلية الموجودة عند الإنسان

المطلب الرابع إمكانية تغير الصفات الجبلية في الإنسان وأقوال العلماء في ذلك

المطلب الأول معنى التكليف وعلاقته بصفات الإنسان الجبلية

معنى التكليف، هو اقتضاء طلب فعل الشيء من المكلف أو طلب كفه عن الفعل، أو تخييره بين الفعل والترك.[1] والمقصود منه هنا هو مسؤولية الإنسان أمام الأحكام الشرعية. والتكليف إن وجد يوجد معه ثواب أو عقاب، فالتكليف بفعل شيء معناه أنه يثاب على فعله ويعاقب على تركه، والتكليف بترك شيء معناه أنه يعاقب على فعله ويثاب على تركه.

وأما علاقته بالصفات الجبلية، فيقصد منه مدى مسؤولية الإنسان أمام الصفات الجبلية المطبوعة فيه، وهل هناك تأثير الصفات الجبلية الموجودة في الإنسان على تكليفه وثوابه وعقابه، فهل يكلف الإنسان يعنى يثاب أو يعاقب أو يسقط التكليف عنه أو يخفف بسبب ما يوجد فيه من الصفات الجبلية. وما هو مسؤولية الإنسان تجاه هذه الصفات الموجود فيه، فهل يكلف بمقاومتها أو يجوز له مطاوعتها، وما مدى مسؤوليته في ذلك.

[1] الزحيلي، وهبة، **أصول الفقه الإسلامي**، دار الفكر، دمشق، ٢٠٢١، ج/١، ص/٥٠.

أولاً: بما أن الناس مختلفون في صفاتهم الجبلية، واستعداداتهم، وقدراتهم الفعلية، والذكاء، وفي ظروفهم الاجتماعية، والثقافية وخبراتهم الشخصية؛ كما جاء في قوله تعالى **{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}**[سورة الإسراء/٢١] وكذلك في قوله تعالى: **{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}**[سورة يوسف/ ٧٦]. فلا شك في أن كل ذلك يؤدي إلى وجود اختلافات كثيرة في سلوكهم، كما في قوله تعالى **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ}** [سورة الإسراء/٨٤]. واختلاف الناس في الاستعدادات والقدرات البدنية والعقلية يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف قدرتهم على العمل والكسب، وهذا له تأثير على التكليف.[١] ونبين ذلك في المطلب الثاني عند ذكر موقف القرآن من تكليف الإنسان فيما يتعلق بجبلته.

ثانياً فتكليف الإنسان تجاه صفاته الجبلية، لا يكون إلا في فعله أو قوله، فلا يكلف الإنسان بالنسبة لميول طباعه إن لم يتحول ذلك إلى أفعال أو أقوال، فإذا كان الإنسان بخيلا أو جباناً بطبعه، ويميل إلى البخل بقلبه لكنه لا يبخل في الواجب ولا يجبن أمام الواجب، فهذا لا يكلف بإزالة هذا الميل، ولا يعاب عليه؛ ويوضح ابن حزم بأن الإنسان ليس مكلفا فيما يميل إليه طبعه، وإنما التكليف يكون بحسب فعل الإنسان أو قوله، إذ يقول: "لا عيب على من مال بطبعه إلى بعض القبائح، أنه أشد العيوب، وأعظم الرذائل، ما لم يظهره بقول، أو فعل، بل يكاد يكون أحمد ممن أعانه طبعة على الفضائل، ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد إلا عن قوة عقل فاضل." [٢] إذن فلا يثاب الإنسان على وجود صفاته الجبلية، ولا يعاقب عليها، في هذا الخصوص، وما مدى الثواب والعقاب في الصفات الجبلية فهذا موضوع المطلب الثالث.

ثالثاً من شروط التكليف الإرادة والاختيار والقدرة، يقول العالم الفقيه الشاطبي: "ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا، وإن جاز عقلا."[٣] ويقول العز ابن عبد السلام "ومبدأ التكاليف كلها العزوم والقصود، فالعزم على الحسنات حسن، وعلى السيئات قبيح، وعلى المباح مأذون."[٤] فالصفات الجبلية هل تدخل في قدرة الإنسان، أو اختياره، أم لا، وهل يمكن تغيير الصفات الجبلية في الإنسان بقدرته واختياره. فهذا موضوع المطلب الرابع.

---

[١] حيدر، **الشخصية في الإسلام وفي الفكر العربي**، ص/ ٢٧١.

[٢] ابن حزم، **الأخلاق والسير**، ص/١٧٥.

[٣] الشاطبي، **الموافقات**، ج/١، ص/٣٣٦.

[٤] ابن عبد السلام، **القواعد الكبرى**، ج/١، ص/١٩٤.

المطلب الثاني موقف القرآن من تكليف الإنسان فيما يتعلق بجبلته

وقد ثبت في نصوص كثيرة أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها وإلا ما آتاها:

قال تعالى: **{ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها}** [سورة الطلاق/٧] أي لا يُكَلّفه فَرِيضَةً إلّا بِحَسَبَ ما أعْطاهُ اللَّهُ من قدرته.[١]

قال تعالى: **{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** [سورة المؤمنين/ ٦٢] وقال تعالى: **{لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْۗ}** [سورة البقرة/٢٨٦] **{لَا نُكَلِّفُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَا}** [سورة الأعراف/٤٢]

والوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، أو الوسع دون المجهود في المشقة، وهو ما يتسع له قدرة الإنسان،[٢] يعني الوسع طاقة الإنسان أو دون طاقته.[٣] والوسع: هوالمستطاع الذي اعتاد قدرة الإنسان على فعله إن توجهت إرادته لفعله مع السلامة وانتفاء الموانع.[٤]

هذا، ويفرق أبو زهرة بين الوسع والطاقة، فالطاقة هي غاية المجهود وأقصاه، وما يفعله الإنسان قادرا عليه، ولكن في تعب وجهد، والوسع ما يكون في الإمكان، ولكن تكون بعد الأداء سعة من قدرة على أداء غيره، ولكن لَا يؤدي الزيادة إلا بجهد، لكن ليس معنى هذا أنه لا تكون مشقة في التكليف، فالتكليف هو أمر بما فيه كلفة، وهي المشقة؛ فالتكليفات الشرعية لها ثلاث خواص: فيها مشقة محتملة، وأنها تكون في الوسع والقدرة من غير حرج ولا ضيق، وأنها تكون من غير مجهود شديد يكون أقصى الطاقة.[٥]

وعدم تكليف الإنسان إلا بما يطيقه، قاعدة مقررة عند علماء العقيدة؛ يقول الإمام الطحاوي في عقيدته: "ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم."[٦] والتكليف بما فوق الطاقة لم يقع في جميع شرائع الله تعالى لأن كلمة (نفسا) التي وردت في الآية عامة لأنها نكرة

---

[١] الماوردي، **النكت والعيون- تفسير الماوردي**، ج/٦، ص/٣٥.

[٢] فخرالدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج/٧ ص/١٦٦.

[٣] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج/٣، ص/ ٤٢٥.

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٣/، ص/ ١٣٥.

[٥] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج/٢، ص/ ١٠٩٠.

[٦] الطحاوي، **العقيدة الطحاوية**، ص/٧٨.

وردت في سياق النفي، وما ورد في القرآن من تكليف ما لا يطاق لبعض الأقوام مثل الأمر بقتل النفس لبني إسرائيل، فهذا ورد في سياق العقوبات.[1]

وإذا كان الله لا يكلف الإنسان إلا بما يستطيع ويقدر عليه، وهو ما سماه القرآن وسعاً في قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فما أثر الصفات الجبلية إذن في تكليف الإنسان، وفي تحديد الوسع؟

إننا نعلم أن من صفات الله تعالى العدل والحكمة، وأنه لا يظلم عباده، يقول تعالى: **{ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيكُمْ وَاَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِۚ}** [سورة آل عمران/١٨٢] **{اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شيئا، وَلٰكِنَّ النَّاسَ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** [سورة يونس/٤٤] **{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ اَحَداً}** [سورة الكهف/٤٩] ولم نعهد في عدل الله أو حكمته، أن يكلف مخلوقاً من مخلوقاته فوق وسعه وطاقته تكليفاً يعجز عنه، ثم يعاقبه على المخالفة أو التقصير.

فقد خلق الله تعالى الإنسان، وزوده بحكمته العالية بالصفات التي تؤهلها للامتحان والابتلاء الرباني في مجال الحياة الدنيا؛ وهذه الصفات هي:

(أ) الإرادة الحرة.

(ب) العقل والاستعداد لفهم النواهي والأوامر، والتمييز بين الخير والشر، والنفع والضر.

(ج) القدرة الظاهرة على تنفيذ بعض الأفعال التي تريدها.[2]

وإذا كان الإنسان يملك إرادة حرة وعقلا وقدرة، فإنه يستطيع أن يوجه صفاته التي خلقها الله فيه إلى طريق الخير أو طريق الشر؛ دون أن يكون من ورائها قاسر ولا قاهر، فلذلك كان أهلا للتكليف في خصوص صفاته الجبلية. والقرآن يبين لنا قدرة الإنسان على أنه يملك الإرادة الكاملة في تحسين أو إفساد كيانه الجواني، يقول تعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}** [سورة الشمس/٩-١٠].[3]

فلا يمكن للإنسان أن يقدم معذرة لسلوكه الخاطئ بدعوى أن لصفاته الجبلية الخاصة تأثيرا على أعماله وسلوكه واختياره، لأن موقف القرآن واضح في مواجهة تأثير المثيرات

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج/٣/، ص/ ١٣٥.

[2] ينظر: حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص/٥٠٩.

[3] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/٢٠٢.

الخارجية والداخلية ومنها الطباع والصفات الجبلية المذمومة عند الإنسان، فقد أعلن القرآن عجز جميع المثيرات ومنها الطباع المذمومة عند الإنسان، عن أن تمارس إكراها واقعيا على قراراتنا، فلذلك التكليف باق في مواجهة الطباع المذمومة عند الإنسان؛ يقول تعالى: **{لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ}** [سورة المدثر/٣٧] [١] فالصفات الجبلية مثل العوامل الأخرى لا تجبر الإنسان ولا تكرهه على فعل شيء، ولا يسلبه إرادته.

وبالعكس من ذلك فإن للصفات الجبلية الخاصة في الإنسان تأثيرا إيجابيا على اختياره وأعماله، فعمل الإنسان ثمرة قوتين متضافرتين: الفطرة والجبلة، والجهد الشخصي، مع مقادير ونسب مختلفة بين تأثير الجبلة وتأثير الجهد الشخصي، فبعض الأعمال يكون فيها تأثير جبلته أكثر من جهده الشخصي.[٢]

وكذلك فإن الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان يحدد مدى تكلفيه ومسؤوليته؛ فقد جعل الله تكليف كل نفس توافرت لديها شروط التكليف محدوداً بحدود استطاعتها، ومنحصراً في طاقتها المزودة بها من الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان، وهي من المحددات التي تحدد استطاعة الإنسان، وبالتالي تختلف مسؤولية الإنسان وتكليفه بحسب قدراته واستعداداته، وصفاته الجبلية الخاصة، فعلى مقدار الهبة تكون درجة التكليف والمسؤولية، وتتفاوت درجات مسؤوليات الناس بحسب هبات الله لهم. فلا تكون إذن مسؤولية ضعيف الذكاء، بمقدار مسؤولية الذكي الألمعي، في ميدان المعرفة، فمن رزقه الله عقلا وذكاء كان مسؤولا عن هذه المنحة بمقدارها، بخلاف الحمقى، وضعيفي الذكاء.[٣]

وكذلك الأمر بالنسبة لصفات الشجاعة والجود والحلم، فمن أوتي من هذه الصفات الجبلية الخاصة يكون مسؤولا ومكلفا بحسب قوته وشخصيته؛ فمن أعطاه الله قوة جسمانية، وجبله على صفة الشجاعة كان مسؤولاً عن ذلك بمقدار العطاء الرباني، ومن آتاه الله شخصية قيادية وملكاً وسلطاناً كان مسؤولا عن ملكه وسلطانه بمقدار ما أوتي منها.

وفي ذلك يقول تعالى: **{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}** [سورة النور/٦١] فالأعمى والأعرج والمريض، يختلف تكليفهم عن غيرهم، فهذه الصفات وإن لم تكن صفات خلقية، إلا أن الصفات الجبلية الخلقية في معنى ذلك؛ فالقوي الذي يملك صفة القيادة؛ يكلف بأمور الولاية والسياسة، وقد يجبر عليها، وأما الضعيف بطبيعته الذي لا يملك صفة

---

[١] ينظر: دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/٢٠٢.

[٢] المصدر السابق، ص/٦٠٢.

[٣] ينظر: حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص/٥١٢-٥١٣.

قيادية، فلا يكلف بأمور القيادة، بل ينهى عنها؛ كما جرى مع أبي ذر رضي الله عنه، فقد طلب من رسول الله أن يستعمله، فقال له" (يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة، خزي وندامة. إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) "[1] ونرى أن الرسول (ﷺ) كان يأخذ بعين الاعتبار في تكليف الصحابة شخصياتهم وصفاتهم الجبلية.[2]

يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية... وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة ... وإجماع المسلمين منعقد عليه."[3]

ولذلك لما علم نبي الله يوسف عليه السلام من نفسه القدرة على إدارة أمور البلاد وتيسير شؤون العباد بعد أن قال له الملك: **{إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}** [سورة يوسف/ ٥٤] فقال **{اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}** [سورة يوسف/ ٥٥]. وكذلك بعد أن خبرت بنت شعيب عليه السلام مكنة نبي الله موسى عليه السلام على رعي الغنم، وأمانته، قالت تنصح به أباها وتوصي به: **{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}** [سورة القصص/٢٦].[4]

ومن الإشارات القرآنية إلى تأثير الصفات الجبلية عند الإنسان في تكليفه، قوله تعالى: **{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [سورة التوبة/٩٧] فقد وصف الله تعالى الأعراب بكون كفرهم ونفاقهم أشد من غيرهم من أهل القرى، والأعراب غير العرب، وهم أهل البادية ولو لم يكونوا عربا، فإن لهم صفاتهم الجبلية الخاصة، فهذه الصفات أصبحت طبعاً وجبلة فيهم، بتأثير البيئة التي يعيشون فيها، وقد ترتبت على ذلك بعض الأحكام التكليفية؛ ويعدد الإمام القرطبي في تفسيره الأحكام التي انفرد بها الأعراب عن غيرهم ومن تلك الأحكام التي ذكرها: إسقاط شهادة أهل البادية عن الحاضرة؛ لما في ذلك من تحقق التهمة، عند بعض الفقهاء، ومنها: كون إمامتهم بأهل الحاضرة ممنوعة.[5]

ومن ضمن ذلك يمكن أن نذكر الصفات الجبلية عند الأنبياء وأثر ذلك في تكليفهم ببعض الوظائف، التي سبق ذكرها في المبحث الثاني من الفصل الثاني؛ فقد ذكرنا أن العديد من الأنبياء

---

[1] **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم الحديث: ١٨٢٥.

[2] ينظر: فؤاد، **الشاكلة الشخصية وأثرها في الاجتهادات الشرعية**، ص/٣٣٤.

[3] النووي، **شرح صحيح مسلم، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج/١٢، ص/٢١٠.

[4] ينظر: حيدر، **الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي**، ص/ ٢٣٤.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج/٨، ص/٢٣٢.

قد أُعطوا مسؤوليات ووكلوا بوظائف حسب طباعهم، فبعض الأنبياء ملوك يملكون البلاد ويديرونها مع كونهم أنبياء مثل سيدنا داود وسليمان، ومنهم أنبياء فقط. وكذلك نجد أن النبي يوسف كان وزيرا لمصر وقد عبر عن صلاحيته ووجود استعداداته لهذه الوظيفة. فالنبي نوح قد أدى واجباته النبوية بلا كلل لمدة ألف عام تقريبًا فكان صبورًا، ومع ذلك نرى أن النبي يونس لم يستطع تحمل إنكار الناس وتركهم. وخير مثال على ذلك أن قيادة النبي موسى كانت أكثر من أخيه هارون، فلما ذهب للقاء ربه وجد قومه يعبدون العجول؛ لأن النبي هارون كان أكثر ليونة من شخصية موسى... وهكذ نجد أن الأنبياء أيضا اختارهم الله وكلفهم بحمل بعض المسؤوليات والوظائف بحسب طباعهم وصفاتهم الجبلية.

فقد علمنا أن الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان لها تأثير على تكليفه ومسؤوليته، وتحديد قدرته واستطاعته لبعض الأعمال، والآن نريد أن نبحث في تكليف الإنسان تجاه صفاته الجبلية الخاصة، فهل يملك الإرادة والاختيار تجاهها، وهل هو مكلف بها بإيجادها أو منعها، حتى يكون مسؤولا ويثاب أو يعاقب عليها، فهذا موضوع المطلب الثالث.

المطلب الثالث الثواب والعقاب في الأوصاف الجبلية الموجودة عند الإنسان

إن التكليف والثواب والعقاب، كل ذلك مربوط بالإرادة والجهد الشخصي، كما جاء في قوله تعالى **{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ}** [سورة النجم/٣٩]. وهي قاعدة ربانية عادلة، تربط المسؤولية والمجازاة بإرادة الإنسان وسعيه. ولذلك لا ثواب ولا عقاب في الصفات الجبلية الخاصة بالنسبة للخواطر، أو حديث النفس، أو ميل الطبع إلى الحسنات والسيئات، لأن ذلك غالب على الناس، ولا تكليف بما يشق اجتنابه مشقة فادحة، ولا بما لا يطاق فعله ولا تركه.

فالإنسان لا يعاب ولا يعاقب فيما يميل إليه طبعه، وما يميل إليه بمقتضى صفاته الجبلية الخاصة، وإنما التكليف يكون إذا تحول ذلك الميل إلى الفعل أو القول، فالإنسان يثاب أو يعاقب على فعله أو قوله، وفي ذلك يقول ابن حزم: "لا عيب على من مال بطبعه إلى بعض القبائح، أنه أشد العيوب، وأعظم الرذائل، ما لم يظهره بقول، أو فعل، بل يكاد يكون أحمد ممن أعانه طبعه على الفضائل، ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد إلا عن قوة عقل فاضل." [1]

وكما أن الإنسان لا يثاب ولا يعاقب على الميل، فكذلك لا يثاب ولا يعاقب بمجرد وجود الصفات الجبلية الممدوحة أو المذمومة فيه؛ وقد تطرق العلماء لمسألة ما يثاب عليه الإنسان من

[1] ابن حزم، **الأخلاق والسير**، ص/175.

حسن الصفات وما لا يثاب عليه؛ وممن تناول الموضوع بالتفصيل الإمام العز بن عبد السلام في كتابه القواعد الكبرى، إذ يقول فيه:

"كل صفة جبلية لا كسب للمرء فيها... كالشجاعة، والسخاء، والجود، والحياء... فهذا لا ثواب عليه في نفسه مع فضله وشرفه؛ لأنه ليس بكسب لمن اتصف به، وإنما الثواب والعقاب على ثمراته المكتسبة. فمن أجاب هذه الصفات إلى ما دعت إليه الشريعة، كان مثاباً على إجابته، جامعاً لصفتين حسنتين؛ إحداهما جبلية، والأخرى كسبية. وأما ما يصدر هذه الأوصاف من آثارها المكتسبة... إن قصد بها وجه الله تعالى أجر."[1]

وكذلك الأمر فيما يعاقب عليه من قبح الصفات وما لا يعاقب عليه: "فكل صفة جبلية قبيحة لا كسب للإنسان فيها، فلا أجر له عليها ولا وزر... كالقحة، والجبن، والشح، والبخل... فمن أجاب هذه الصفات إلى ما تقتضيه مما يخالف الشرع، كان معاقباً على قبح إجابته، لا على قبح أوصافه، ومن خالفها ووافق الشرع في قهرها، والعمل بخلاف مقتضاها، كان مثاباً على حسن مخالفته، غير معاقب على قبح صفاته، هذا إن قصد وجه الله تعالى، فإنه يؤجر على عمله وعلى مجاهدته نفسه."[2]

ويناقش الشاطبي إمكانية الثواب والعقاب على الصفات الجبلية المطبوع عليها الإنسان، بعد تقريره أن تلك الأوصاف، لا يكلف الإنسان بإزالتها ولا بجلبها شرعا، لأنه تكليف بما لا يطاق، وما لا يكلف به لا يثاب عليه ولا يعاقب؛ لأن الثواب والعقاب تابع للتكليف شرعا، ويبين بعد ذلك بأن الثواب والعقاب على تلك الصفات ليست من جهة ذواتها، وإلا لزم في كل صفة محبوبة أن يكون مثابا عليها، وفي كل صفة مكروهة، أن يكون معاقبا عليها؛ وإنما الثواب والعقاب يكونان من حيث متعلقاتها وهي فعل الإنسان أو تركه بمقتضى تلك الصفات.[3]

فالثواب والعقاب إذن إنما يكونان على الأحوال الاختيارية لا على الصفات التي لا دخل للإنسان في إيجادها؛ فمن جبل على البخل مثلا، وإن لم تكن صفة البخل فيه باختياره لكن اختياره باق في المحاولة والجهد للخروج عن صفة البخل بمحاولة البذل والإعطاء والإنفاق. وذلك مثل الحسد قد يرد على القلب بلا اختيار، إلا أنه يجب دفع ما يترتب عليه بالتعليم والتدرب، فإن

---

[1] ابن عبد السلام، **القواعد الكبرى**، دار القلم دمشق، ج/١، ص/١٩٢.

[2] المصدر السابق، ج/١، ص/١٩٢-١٩٣.

[3] الشاطبي، الموافقات، ج/١، ص/٣٤١.

التكلف لتلك الأخلاق، وكف النفس عن اتباع هواها، يجعل الأخلاق المكتسبة له مثل الصفات الجبلية وتصير طبعا له.[1]

ومع ذلك فالطباع الحسنة والميول الصالحة الراسخة عند بعض الناس، يجعلهم أكثر تأهلا للأخلاقية، لكن النزوع يبقى، وشتان بين النزوع، والإرادة، فالعمل الأخلاقي الأول هو الإرادة على وجه الخصوص، لا النزوع والميل فقط، لكن الميل يساعد الإرادة.[2]

وبعد توضيح أن الثواب والعقاب لا يكون إلا على آثار تلك الصفات ولا يكون على الصفات نفسها، سنناقش الآن هل وجود الصفات الجبلية الخاصة عند الإنسان يزيد ذلك من ثوابه أو عقابه، فهذا الموضوع اختلف فيه بين العلماء؛ **وقد ذكر الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين** هذا الخلاف قائلاً:

"فإن قلت: إذا فرضنا التائبين، أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب، والآخر بقي في نفسه نزوع إليه، وهو يجاهدها ويمنعها، فأيها أفضل؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه، فقال أحمد بن أبي الحراري، وأصحاب أبي سليمان الداراني: إن المجاهد أفضل؛ لأن له مع التوبة فضل الجهاد. وقال علماء البصرة: ذلك الآخر أفضل، لأنه لو فتر في تربيته كان أقرب الى السلامة من المجاهد، الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة. وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق، وعن قصور عن كمال الحقيقة."[3] ونرى أن الإمام الغزالي لا يرجح أحد القولين، وإنما يرى الحق مع الطرفين.

ويناقش دراز هذا الموضوع ويذكر الخلاف بين الأخلاقيين المسلمين، وهو الخلاف الذي ذكره الإمام الغزالي، ويرجح تفضيل الفطرة على الجهد قائلاً: "فإذا قارنا هذه الصفات الفطرية بالصفات المكتسبة بالعمل، فالفرق بينهما هو مثل الفرق بين الصلب والهش، والفرق بين الدائم والمؤقت...إننا لو خيرنا بين فنانين، أحدهما يؤدي حركاته برشاقة وتلقائية، والآخر لا يستطيع أن يؤدي نفس الحركة إلا بعناء وعرق متصبب، فمن الواضح أن تميز التفوق عن التوسط، ونفضل دائما المطبوع على المصنوع."[4]

---

[1] الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ) **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ**، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م، ج/٢، ص/١٠٤-١٠٥ بتصرف.

[2] ينظر: دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص/ ٦١٣.

[3] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج/٤، ص/ ٤١.

[4] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/٥٩٣ -592 .

ويندد دراز بالرأي الذي يفضل المجاهدة على الطبع ويقول بأن موقف القرآن يعارض ذلك تماما؛ فلقد ذم الله تبارك وتعالى، أولئك الذين لا يؤدون واجبهم بمسرة ونشاط، **{وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} [سورة التوبة/ ٥٤]** ورأينا بأي أسلوب فضحهم، وقد قال أرسطو: إن الذي لا يسر لأداء الأعمال الطيبة ليس خيرا حقا."[١]

وأما بالنسبة لتكليف الإنسان تجاه تغيير الصفات الجبلية فهذا موضوع المطلب الرابع.

المطلب الرابع إمكانية تغير الصفات الجبلية في الإنسان وأقوال العلماء في ذلك

وهنا نتساءل فهل نملك الإرادة في تكون صفاتنا الجبلية وفي تغيرها، فالميول الطيبة أو الخبيثة التي تكون موجودة في أنفسنا عند الولادة في فطرتنا وجبلتنا الخاصة، هل نكون مسئولين ومكلفين بتغييرها بما أنها ليست صنعتنا، وهل نستطيع أن نغيرها؟

والجواب على ذلك أن العلماء اختلفوا في إمكانية تغير الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان، فقال بعضهم هذه الصفات من جنس الخلقة، ولا يستطيع أحد تغيير ما جبل عليه الإنسان، سواء كان خيراً أم شراً، واستدلوا بحديث يفهم من ظاهره أن الخلق والصفات الجبلية لا يمكن تغييرها، وهو هذا الحديث: {أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَذَاكَرُ مَا يَكُونُ، إِذْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِجَبَلٍ زَالَ عَنْ مَكَانِهِ، فَصَدِّقُوا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِرَجُلٍ تَغَيَّرَ عَنْ خُلُقِهِ، فَلَا تُصَدِّقُوا بِهِ، وَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى مَا جُبِلَ عَلَيْهِ "[٢]

وقال بعضهم: يمكن تغيير الصفات الجبلية في الإنسان، واستدلوا بهذا الحديث: {أَحْسِنُوا الْمَلَأَ}[٣] أي أحسنوا أخلاقكم[٤] وأنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى.[٥]

ويذكر ابن مسكويه قولا آخر في ذلك ثم يرجحه: وهو أنه لا توجد صفة جبلية طبيعية ولا غير جبلية طبيعية للإنسان، وإنما الإنسان مهيئ لقبول الخلق، لكن بعضهم سريع القبول للخلق

---

[١] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/٦٠٦.

[٢] **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. (٢٧٤٩٩) وهذا إسناد منقطع ، فالزهري لم يدرك أبا الدرداء رضي الله عنه ، قال الهيثمي في " مجمع الزوائد(196 /7) " " رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَنَّ الزُّهْرِيَّ لَمْ يُدْرِكْ أَبَا الدَّرْدَاءِ " وضعفه الألباني في "الضعيفة" (١٣٥)، وقال: "إسناد منقطع"

[٣] أخرجه **مسلم في صحيحه**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم الحديث /٤٧٤.

[٤] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢)، **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة** دار ابن القيّم للنشر والتوزيع، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج/٥، ص/٣٣٩.

[٥] ينظر: الراغب الإصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، ٥٠-٥١. **الغزالي، إحياء العلوم الدين**، ج/٣، ص/٥٦-٥٧.

وبعضهم بطيء القبول، وبالتالي يمكن تغير الصفات الجبلية في الإنسان؛ لأن ذلك هو الذي نشاهده عيانا، ولأن القول بعدم إمكانية تغير الصفات يؤدي الى إبطال قوة التمييز والعقل، وترك الناس همجا مهملين، وإلى ترك الأحداث والصبيان على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم.[1]

لكن الحقيقة أن هناك تفصيلاً؛ فالصفات الجبلية التي طبع عليها الإنسان لا يمكن تغييرها كليا أو إزالتها كليا؛ يقول الإمام الشاطبي: "أن الأوصاف المطبوع عليها، وما أشبهها، لا يكلف بإزالتها ولا بجلبها شرعا، لأنه تكليف بما لا يطاق."[2]

لكن تلك الطباع قد تتغير جزئيا، ويمكن تربية الطباع الموجودة في الإنسان، وتطويرها بالجهود الشخصية، ومن ثم يتدخل المدد الإلهي في تغيير تلك الصفات، يقول تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}** [سورة العنكبوت/٦٨] وفي ذلك يقول دراز: "إن استخدام ملكة ما في اتجاه معين يغذي بنفس القدر هذه الملكة المستخدمة، ولكن الله سبحانه يتدخل بمعونة إيجابية لهداية من يبحث عن الطريق الصحيح، بحثاً جاداً والقرآن الكريم يعلن: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"[3]

فالطباع إذا أهملت، ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ الإنسان طول عمره على طباعه، وعلى الحال التي كان عليها في الطفولية، فطباع الإنسان وجبلته تشاهد وتعاين خاصة في الاطفال؛ فإن أخلاقهم تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يسترونها، كما يفعله الكبار، فالكبار قد يخفون صفاتهم الموجودة فيهم حياء وخجلا ويقومون بأعمال منافية لمافى طبعهم، ويظهرون بأخلاق غير التي هي فيهم، لكن الأطفال لا يعملون ذلك ويظهرون كما هو الأمر في أنفسهم، ولا يقومون بأعمال منافية لطباعهم.[4]

والمراد بحديث {وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِرَجُلٍ تَغَيَّرَ عَنْ خُلُقِهِ، فَلَا تُصَدِّقُوا بِهِ} التغيير الكلي أو الإزالة الكلية، وأما المراد بأحاديث تحسين الخلق، التغيير الجزئي، والقدرة على العمل بالصفة التي ينبغي، فالتبديل الكلي الأصلي الذاتي غير ممكن، كما أشار إليه الحديث النبوي، وأما التبديل الجزئي فهو ممكن بل العبد مأمور به، ويسمى تهذيب النفس وتحسين الأخلاق؛ قال تعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}** [سورة الشمس/ ٩] فالغضب مثلًا زواله بالكلية ممنوع لكنه يستطيع أن يستعمل

---

[1] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص/٢٥. بتصرف.

[2] الشاطبي، الموافقات، ج/١، ص/٣٤١.

[3] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/٥٩٦.

[4] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص/٢٨. بتصرف.

غضبه هذا لله لا لغيره، ويكون هذا خلقا حسنا، ويؤيّد هذا قول عمر -رضي الله عنه: لم يزل عني الغضب، لكنه كان أولًا في حماية الكفر، والآن في حماية الإسلام.[1]

ويفرق الملا علي القاري بين الخلق المبرم والخلق والمعلق؛ فالخلق المبرم لا يبدل، والخلق المعلق يغير، ولا نعرف أي خلقنا مبرم أو معلق، فعلى الإنسان المجاهدة؛ فكثير من المرتاضين لم تحسن أخلاقهم في أزمنة طويلة، وبعضهم تبدل أخلاقهم الذميمة بالحميدة في مدة قليلة.[2] فوجود الصفات الجبلية في الأخلاق لا تنافي التعلم والخروج عنها، فالحديث خرج مخرج الغالب، فإن غالب كل إنسان ألا يخالف طبعه، بل يضيف إلى قبائح طبعه قبائح أخرى، وإن كلف الخروج عنه فلا بد من أن تبقى فيه بقية.[3]

إلا أن الناس متفاوتون في إمكانية تغير صفاتهم؛ فالناس متفاوتون في قبول الخلق، والمسارعة إلى تعلمها، ويعرف ذلك من الأحوال المتفاوتة للناس؛ فهم ليسوا على رتبة واحدة، فتكرير المواعظ والتأديب يؤثر في بعض الناس دون البعض؛ فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك إلى الفضيلة بسرعة، ومنهم من يقبله ويتحرك إلى الفضيلة ببطء، وفيهم متوسط، ويظهر هذا التفاوت في قبول الخلق خصوصا عند الأطفال.[4]

ومن الصعب تغيير بعض الطباع والصفات الجبلية في الإنسان، فهذا القدر الذي لا يمكن تغييره لسنا مسؤولين عنه ولا يكون التكليف فيه، ولا يكون الإنسان لا أخلاقيا إذا وجدت فيه هذه الصفات التي لا يمكن تغييرها؛ فقد يكون المرء بطبيعته حزينا أو فرحا، متشائما أو متفائلاً، بليداً، أو حساسا، والانسان ليس مسئولاً عن شذوذه النفساني أكثر من مسئولية العليل عن عيوبه الجسمية.[5]

ومن أهم من تطرق لموضوع الخلق والصفات وتغيرها، الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقد رجح القول بإمكانية تغيير الصفات، وانتقد من يقول إن الأخلاق لا يتصور تغيرها، كما لا يتصور تغير صورة ظاهر الخلقة، لكن الإمام الغزالي لا يدعي إمكانية قمع هذه

---

[1] الملا الهروي القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج/١، ص/٢٠١؛ الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦ هـ)، بذل **المجهود في حل سنن أبي داود**، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م، ج/١٣، ص/٢٢٩.

[2] الملا الهروي القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج/١، ص/٢٠١.

[3] الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (ت ١١٨٢هـ) **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ**، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م، ج/٢، ص/١٠٥.

[4] ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، ص/٢٧-٢٨. بتصرف

[5] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/١٨٤.

الصفات بالكلية، بل يقول إنه ينبغي اتباع منهج الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط، والتفريط في تغيير تلك الصفات، فتغييرها ممكن بالرياضة والبذل المستمر؛

إذ يقول: "الشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، أو شهوة الوقاع لا نقطع النسل، ولو تعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه، وقد قال الله تعالى: **{أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}** **[سورة الفتح / ٢٩]** ولا تصدر الشدة إلا عن غضب، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى: **{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}** **[آل عمران/١٣٤]** ولم يقل: والفاقدين الغيظ... فمن أراد تحصيل خلق الجود يتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعاً له .... وكما أن تعاطي أسباب الفضائل يؤثر في النفس ويغير طبعها، فكذلك مساكنة الكسل تصير عادة، فيحرم بسببه كل خير. "[1]

وكذلك الراغب الأصفهاني ممن تطرق لهذا الموضوع وبين بأن الله تعالى خلق الإنسان وجعل فيه قوة، لإكمال بعض الصفات فيه، وتغيير حاله لكنه لم يطلب منه تغيير ذاته كليا، وشبه ذلك بالنواة التي جعل فيها قوة النخل، وسهل للإنسان سبيلًا إلى أن يجعله نخلة، أو أن يفسده إفسادًا. والخُلق من الإنسان كذلك لا سبيل له إلى تغيير القوة التي هي السجية، لكن الله جعل له سبيلًا إلى تربيتها وتنميتها، مثل النخل، ولهذا قال الله تعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}** [سورة الشمس/٩-١٠][2] وقد لفت الراغب إلى أن السجية هي القوة الخُلقية التي لا سبيل للإنسان إلى تغييرها.

وقد أرجع الراغب قول من منع من تغيير الخلق إلى أنه نظر إلى القوة نفسها، فالقوة الموجودة في الإنسان التي أودعها الله فيه لا تتغير، وهذا صحيح. وشبه ذلك بالنوى؛ فالنوى محال أن ينبت الإنسان منه تفاحًا، فكذلك جبلة الإنسان الخاصة. وأما من أجاز تغيير الصفات الجبلية، فإنه نظر إلى إمكان ما في القوة إما بإظهاره إلى الوجود، أو إفساده بإهماله، كالنوى؛ فإنه يمكن أن يتفقد ويعتنى به، فيجعل نخلًا، وأن يترك مهملا حتى يتعفن ويفسد، وهذا صحيح أيضًا. فاختلاف القولين في تغير جبلة الإنسان ينشأ من اختلاف النظر إليها.[3]

فالخلاف -إذن- في إمكان تغيير الصفات الجبلية الخاصة في الإنسان، ليس خلافا حقيقيا، وإنما يرجع الخلاف إلى اعتبارات مختلفة للموضوع، فالصفة الجبلية الخاصة لا يتغير أساسها وإنما يطورها الإنسان وينميها أو يفسدها، والذي يتغير هو مدى تنمية الإنسان للقدرات الموجودة

---

[1] الغزالي، **إحياء العلوم الدين**، ج/٣، ص/٥٧ إلى٦٠.

[2] الراغب الإصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، ص/٥٠-٥١.

[3] المصدر السابق.

فيه، وأما الطبع الأساسي في الإنسان فلا يتحول إلى طبع آخر بالكلية، وإنما يملك الإنسان تشذيبه أو تنميته فقط لا غير. فالمجبول على الجبن لا يمكن أن يتحول إلى شجاع كليا مثل الذي جبل على الشجاعة، لكنه يستطيع أن يربي نفسه ويتجنب الجبن بالرياضة، ومهما فعل فلن يكون مثل الشجاع المجبول على الشجاعة.

ولتوضيح ما قلته أكثر، أود أن أذكر المثال الذي أورده محمد قطب: "شجرة اللبلاب، من أضعف الشجر عوداً؛ لأنها شجرة متسلقة لا تستطيع أن تعتمد على ذاتها، ولا بد أن تستند إلى شيء تتسلقه وتنمو من فوقه... ولكن كيف تصبح حين تأخذ مداها من النمو والتسلق والتشابك بمداداتها التي تشتبك عن طريقها بالأشياء؟ إنها تسد عليك الطريق، ولا تستطيع المرور من خلالها إلا بالجهد، قريب من ذلك أمر الوراثات الموروثة في نفس الطفل... قد لا تستطيع اقتلاعها البتة، ولكنك تستطيع ولا شك أن تقومها وتشذبها وتخفف من غلوائها، ولو استلزم ذلك بعض الجهد، وكلما بدأت بالتقويم مبكراً زادت أمامك فرصة الإصلاح."[1]

إن علم النفس يثبت أن الغرائز الانسانية أكثر قابلية للتغيير والتربية، أكثر من غريزة الحيوان. وإذا كان الانسان قد باشر منذ الأزل سلطانه على الصفات الطبيعية، فكيف لا يكون لديه سلطان على طباعه الخاصة، والقرآن يعترف بهذه القدرة المزدوجة، التي أوتيها الانسان، على أن يطهر كيانه الجواني ويحسنه، أو يعميه ويفسده، يقول الحق سبحانه: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}** [سورة الشمس/٧ إلى ٩].[2]

وفي النهاية فالمطلوب من الإنسان الجهد والمحاولة والسعي، كما قال تعالى: **{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ}** [سورة النجم/٣٩] فالإنسان مهما كان فيه من صفات حسنة، فالجهود التي توجه إلى تغيير الأخلاق هي التي توصلنا إلى أخلاق متحققة، فالإنسان ينبغي أن يجاهد نفسه، حتى يتحول ذلك إلى طبع خاص، فيصبح وكأنه فطرة ثانية، فالهدف من الجهد في تغيير الصفات الجبلية عند الإنسان إذن هو تقليل الجهد، -كما يقول محمد دراز- ولهذا السبب وضع أرسطو الفضيلة والأخلاق في طائفة العادات، وليست في طائفة الفطرة. ولا بد للإنسان أن يعمل وأن يجهد، لكن الإنسان مهما فعل فيبقى في نفسه هذا النزوع؛ لكنه كلما جاهد في ذلك تتطور في الإنسان قوة مقاومته لتلك الطباع السيئة. [3]

---

[1] محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، ج/٢، ص/٣٢٦-٣٢٧.

[2] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/184 183.

[3] المصدر السابق، ص/604 603.

المبحث الثاني علاقة القضاء والقدر بالصفات الجبلية وأثرها في الهداية والضلالة

وقد جاء هذا المبحث في أربعة مطالب كالتالي:

المطلب الأول معنى القضاء والقدر وموقف الإرادة الإنسانية منهما

المطلب الثاني علاقة الصفات الجبلية بالقضاء والقدر والإرادة الإنسانية

المطلب الثالث أثر الصفات الجبلية في هداية الإنسان وضلالته

المطلب الرابع نماذج من الشخصيات في القرآن الكريم وأثر جبلتهم في الهداية والضلالة

المطلب الأول معنى القضاء والقدر وموقف الإرادة الإنسانية منهما

القدر والقضاء في اللغة: القدر: مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها.[1]

القضاء: هو الحكم، ومرجعه انقطاع الشيء وتمامه، وقضى الشيء قضاء: صنعه وقدره؛ ومنه قوله تعالى: **{فَقَضٰىهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}** [سورة الفصلت/١٢].؛ أي فخلقهن وعملهن وصنعهن وقطعهن وأحكم خلقهن، والقضاء بمعنى العمل، ويكون بمعنى الصنع والتقدير.[2]

القدر والقضاء في الاصطلاح: لقد عرف القضاء والقدر بتعريفات مختلفة منها:

- تعريف الإمام أبي حنيفة في كتابه الفقه الأكبر: "القدر خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها" ثم يقول: "والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا، ويعلم أنه كيف يكون فناؤه"[3]
- تعريف الإمام الطحاوي في كتابه العقيدة الطحاوية بقوله: "أصل القدر سر الله تعالى في خلقه... أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه...

---

[1] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج/٥، ص/٦٥؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج/٥، ص/٧٤.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، ج/١٥، ص/١٨٨.

[3] الملا القاري، **منح الاروض الأزهر شرح الفقه الأكبر**، ص/٦٨ إلى ٧٩.

كما قال تعالى في كتابه: **{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}** [سورة الفرقان/٢] وقال تعالى: **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا}** [سورة الأحزاب/٣٨].[١]

وتناول ابن تيمية في كتابه العقيدة الواسطية مفهوم القدر والإيمان بهما على أنه درجتان:

الدرجة الأولى: هو أن تؤمن بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا، هو عليم جميع أحوالهم، من الطاعات، والمعاصي، والأرزاق، والآجال. ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق ما شاء... كما قال سبحانه وتعالى: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** [سورة الحج/٧٠]. وقال: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** [سورة الحديد/٢٢].

الدرجة الثانية: مشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض، من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.[٢]

يعني نؤمن أولا بأن الله تعالى عليم لأمور عباده بعلمه القديم، فقد كتب في اللوح المحفوظ الأمور التي ستكون إلى يوم القيامة. ثانيا نؤمن بمشيئة الله تعالى النافذة، يفعل ما يشاء بقدرته، ومنح لعبده الإرادة الحرة في تصرفاته.

وقد يفرق بين القضاء والقدر بأن القضاء: علم الله عز وجل في الأزل بالأشياء كلها على ما ستكون عليه في المستقبل. والقدر: إيجاد تلك الأشياء بالفعل طبقاً لعلمه الأزلي المتعلق بها. وقد عكس بعضهم، فجعل تعريف القضاء للقدر وتعريف القدر للقضاء، ويصح لنا أن نجعل كلمتي القضاء والقدر عنواناً مشتركاً، ونأخذ لها مدلولاً واحداً مشتركاً، وهو أن معنى القضاء والقدر: إرادة الله إيجاد الأشياء على وجه مخصوص، ثم يكون إيجادها فعلا على وفق المراد.[٣]

---

[١] أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١ هـ)، **العقيدة الطحاوية**، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ، ص/٤٩-٥٠-٥٣.

[٢] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، **العقيدة الواسطية**، أضواء السلف – الرياض، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص/١٠٨،١٠٥.

[٣] ينظر: حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص/٦٢٦-٦٢٧. كبرى اليقينيات

وأما موقف الإرادة الإنسانية من القضاء والقدر:

فالإرادة نوعان: النوع الأول: هي الإرادة المطلقة، وإرادة الله الكلية، وهي خاصة بالله تعالى، وهي إرادة أزلية وأبدية، فهو يخلق ما يشاء من مخلوقاته بإرادته ومشيئته، كما يقول الإمام الطحاوي: "وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن."[1] وفي هذا المعنى يقول الله تعالى **{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً}** [سورة الفرقان/٢]، ويقول تعالى: **{وَمَا تَشَاؤُنَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللهُ اِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}** [سورة الإنسان/ ٣٠]

وأما النوع الثاني من الإرادة: فهو الإرادة الجزئية التي وهبها الله تعالى للإنسان، التي لها حرية التوجه دون قسر، ولما كان الإنسان ممنوحاً بتقدير الله إرادة حرة يستطيع أن يوجهها إلى طريق الخير أو طريق الشر، دون أن يكون من ورائها قاسر ولا قاهر، ولذلك كان أهلا لتوجيه التكليف إليه، ثم محاسبته، ثم مجازاته على ما يكسب من خير أو ما يكتسب من إثم؛ لأنه إذا حمل الله عباده مسؤولية التكليف دون منحهم إرادة حرة، فسيكون ذلك مخالفا لصفته العدل ولن يكون معنى للاختبار، فالله تعالى عادل لعباده ولا يظلم أبدا.[2]

فالإنسان له قدرة مستعدة للتنفيذ في حدود الإمكان الموهوب له؛ ولكن عمل قدرة الإنسان في آثارها إنما هو عمل الأسباب في مسبباتها، لا عمل المؤثرات الحقيقية، إذ أن المؤثر الحقيقي هو قدرة الله تعالى. فأفعال العباد مخلوقة لله تعالى بالنظر إلى المؤثر الحقيقي، وهي أفعال العباد بالنظر إلى صور الأسباب الظاهرة، وقد وجهوا إراداتهم إلى فعلها باختيارهم الحر، وبذلك يتم ابتلاؤهم وامتحانهم. وبذلك يصح في العقل وفي العدل أن يترتب على أفعالهم المدح والثواب أو الذم والعقاب.[3]

وقوله تعالى: **{وَمَا تَشَاؤُنَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللهُ}** [سورة الإنسان/ ٣٠] لا تبطل إرادة الإنسان الجزئية؛ لأنها تتكلم عن إرادة الله الكلية؛ فالله منح الإنسان إرادة حرة تحت إرادته، فالإنسان يحقق تصرفاته بالكسب لا خالقا له. ويمثل البوطي لذلك بفعل الكتابة؛ فالإنسان يكتب لكنه لا ينسب إليه خلق فعل الكتابة، فالله يخلق العناصر اللازمة لفعل الكتابة، فالإنسان يعزم على الكتابة، وتنبعث

---

[1] أبو جعفر الطحاوي، **العقيدة الطحاوية**، ص/٣٦.

[2] ينظر: حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص/٦٣٥ ٦٣٧.

[3] المصدر السابق، ص/٦٣٨-٦٣٩.

إرادتـه إلى التنفيذ، فحينئذ يأذن الله تعالى ليده أن تلبي، وللحبر أن ينساب، وللورق أن يتأثر، وبذلك ينسب إلى الإنسان كسب هذا الفعل، على الرغم من أن الله عز وجل هو الخالق له.[1]

إن إثبات القدر لا ينافي إسناد أفعال العباد إليهم حقيقة وأنهم يفعلونها باختيارهم، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، وللعباد قدرة على أعمالهم، وإرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم، وإرادتهم. كما قال تعالى: **{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [سورة التكوير/٢٨ - ٢٩].[2]

ولو أن الله أجبرنا على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرنا على المعصية لبطل العقاب، ولو تركنا هملا لكان هذا عجزا في القدرة، لذلك فإن الله أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلف يسيرا، ولم يكلف عسيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يعص مغلوبا، ولم يطع مكروها، ولم يرسل الأنبياء عبثا، ولم ينزل الكتب لعبا.[3]

ومما يدل على ذلك قوله تعالى **{فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَاٰتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَاَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ اٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}** [سورة البقرة/٢٥٣] تشرح هذه الآية مفهوم الإرادة على قسميه تماما؛ أولا، هذه الآية تدل على مسألة خلق الأعمال، وعلى مسألة إرادة الكائنات، يعني تتحقق كل شيء بإرادة الله تعالى؛ فالكفر، والإيمان، والطاعة، والعصيان، بقضاء الله، وقدره، ومشيئته، وأن قتل الكفار، وقتالهم للمؤمنين بإرادة الله تعالى. ومع ذلك لو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله لم يجبرهم على ذلك؛ لأنه منح الإنسان الإرادة والحرية. بعد ما جاءتهم الرسل بالبينات، ووضحت لهم الدلائل والبراهين، اختلفت أقوامهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا.[4]

ويشبه طبيب النفس التركي الدكتور نوزات تارهان الإرادة بمثال سائق السيارة؛ قوة الإرادة في الإنسان مثل السائق في السيارة ومثل الطيار في الطائرة، فآلة التحكم في السيارة هي مثل عقل الإنسان. فالحيوانات لديها طيار آلي فما يفعلونه معلوم. ولكن في البشر استبدل بذلك

---

[1] ينظر: البوطي، محمد سيد رمضان، **كبرى اليقنيات الكونية**، دار الفكر -دمشق، ط٣٨، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، ص/١٥٩-١٦٢-١٦٣.

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، **العقيدة الواسطية**، أضواء السلف – الرياض، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص/١٠٨،١٠٥.

[3] النابلسي، محمد راتب، المقومات التكلف، ص/.١٢

[4] فخر الدين الرازي، ج/٦، ص/٣٣٠،٣٢٩؛ النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت ٨٥٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، - ١٤١٦هـ ج/٢، ص/٨.

القدرة على الاختيار، والتي تسمى "الإرادة الجزئية". منح البشر حرية قلب عجلة السيارة إلى اليمين أو اليسار فيما يخص إرادة الخير والشر، الصواب أو الخطأ، فالحيوانات حريتهم في منطقة محدودة، أما البشر فأحرار مطلقا لكن في حدود ما تسمح به جيناتهم، فالجينات تحدد حدود العواطف والسجايا، ولا يمكن التلاعب في المهام التلقائية الموجودة في الإنسان.[1]

المطلب الثاني علاقة الصفات الجبلية بالقضاء والقدر والإرادة الإنسانية

لقد علمنا أن الله يعلم في الأزل الأشياء التي ستكون ويوجدها طبقا لعلمه الأزلي، لكنه لا يجبر الإنسان على شيء، بل الإنسان يملك إرادة جزئية، ويقوم بالأعمال بتلك الإرادة التي يمتلكها. وأما الصفات الجبلية التي خلقها الله في الإنسان منذ خلقته فهي جزء من القضاء والقدر لأنها تكون بعلم الله وخلقه، إذا فالإنسان لا يملك إرادة في تلك الصفات الجبلية، لكن الإنسان وإن لم يمتلك الإرادة في وجود تلك الصفات لأنها بخلق الله فيه، لكن الإنسان يمتلك إرادة في الحفاظ على تلك الصفات وفي تطويرها وتنميتها.

فقد خلق الله تعالى تصرفات المخلوقات على نوعين:

النوع الاول: حركات قسرية، ووظائف آلية ليس للإنسان فيها أي كسب أو مشيئة، ويستوي فيها الإنسان مع سائر الموجودات الأخرى، كحركة النمو، والشيب، والولادة، والموت، وكالانفعالات المختلفة من حب، وكراهية، وجوع، وعطش، وخوف، وفزع. والصفات الجبلية الخاصة التي وهبها الله الإنسان منذ خلقته من هذا القبيل من حيث أساسها ومنشأها فلا يستطيع الإنسان أن يخلعها أو يغيرها كليا فهي جزء من القضاء والقدر بهذا المعنى.

والنوع الثاني: تصرفات تنشأ من الاختيار والإرادة التي أودعها الله عز وجل في الإنسان، فهذا هو محور التكليف فيه، والإنسان يصدر في كثير من تصرفاته عن هذه الإرادة.[2] والصفات الجبلية الخاصة تدخل من ناحية أخرى ضمن هذا النوع من الإرادة الجزئية للإنسان، حيث إنه لم ينشئ تلك الصفات وليس له إرادة في نشأتها، لكنه يملك تهذيب تلك الصفات وتطويرها أو تربيتها لكنه لا يمكن خلع تلك الصفات بالكلية.

---

[1] دكتور نوزات تارهان، **سيكولوجية العواطف والذكاء العاطفي**، دار تماش، ص/٥٢-٥٣ NEVZAT TARHAN, DUYGULARIN PSİKOLOJİSİ, VE DUYGUSAL ZEKA, 2021, TİMAŞ YAYINLARI

[2] البوطي، **كبرى اليقنيات الكونية**، ص/١٥٥.

إذن فالصفات الجبلية لها جهتان فهي من جهة تدخل تحت القضاء والقدر من حيث نشأتها، ومن جهة أخرى تدخل تحت الإرداة الجزئية عند الإنسان حيث إنه يملك تهذيبها وتطويرها. ويمكن تشبيه ذلك ببرنامج Windows على الكمبيوتر. Windows هو نظام تشغيل ولا يمكن لأحد أن يقول "سأستخدم Windows بالطريقة التي أريدها". ومع ذلك، يمكن لمنشئي النظام تعبئته كما يحلو لهم وإجراء التغييرات بالالتزام بالبرنامج. هذا مثل الصفات الجبلية الخاصة عند البشر؛ فقد تم رسم بعض الحدود والصفات في جيناتنا وضمن هذه الحدود، أصبح الناس أحرارًا. ولكن إذا قلت لصفاتك الجبلية وجيناتك، "لا أحب هذا، أريد تغييرها"، فإن النظام سيتعطل. لهذا السبب، فإن منفعة الإنسان هي أن يتصرف وفقًا لبنيته البيولوجية وصفاته الجبلية الخاصة، وعليه أن يطورها وينميها.[1]

وأما موقف الإرادة الإنسانية تجاه الصفات الجبلية فالإنسان مكلف بالحفاظ على تلك الصفات وفي تطويرها وتنميتها، وهو يمتلك إرادة في ذلك. وأما الذين لا يملكون تلك الصفات الحميدة فإنهم مكلفون في إيجاد آثارها وهم يملكون الإرادة في ذلك وإن لم يكونوا يمتلكون الإرادة في إيجاد تلك الصفات.

وبعد أن عرفنا أن الصفات الجبلية، لا يكون لها قيمة إذا لم توجد إرادة وسعي وجهد من الإنسان، لكن نلاحظ أن الناس متفاوتون في مدى الإرادة والسعي، فنجد لدى كثير من الأشخاص الذين عندهم صفات جبلية حسنة، قدرا من الانبعاث التلقائي فيما يصدرون من قرارات خيرة، نجد أن هذه العزيمة التي لا يحصل عليها الرجل العادي إلا بجهود شاق، تكون لدى هؤلاء الأشخاص بطريقة أكثر يسراً وطواعية. وهذه الحالة إما تكون منحة من الله تعالى، بفضل استعداد فطري، وإما أن تكون ثمرة جهد، ففي الحالة الأولى يصبح العمل الصالح موضوع حب ومتعة، وهي حال كبار الصالحين التي فطرهم الخالق عليها، وبخاصة الرسل الذين اصطفاهم الله منذ البدء لتبليغ الرسالة الإلهية، كما جاء ذلك واضحا في قوله تعالى: "والله أعلم حيث يجعل رسالته"[2]

المطلب الثالث أثر الصفات الجبلية في هداية الإنسان

خصائص الطبيعة البشرية، والصفات الجبلية التي طبع الإنسان عليها تؤثر على توجيه الإنسان إلى الهداية؛ كما قال الله تعالى **{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ} [سورة الإسراء/٨٤]** بعد قوله: **"قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ"** يعني أن كل إنسان يعمل بحسب طبيعته وسجيته وصفاته

[1] نوزات تارهان، **سيكولوجية العواطف والذكاء العاطفي**، ص/٥٢-٥٣.

[2] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/٥٩٦.

الجبلية، والله أعلم بمن هو أقرب إلى الهداية ومن هو أسرع قبولا للإيمان من حيث طبيعته وسجيته وصفاته. فمعنى أهدى سبيلا أي أسرع قبولا.[١] لأنه الخالق للإنسان ويعلم ما جبل عليه الإنسان من الطبائع وسرعة القبول.[٢] والله يعلم عامل الخير بمقتضى سجية القلب الفاضلة، وعامل الشر بمقتضى طبيعة النفس، فيجازيهما بحسب أعمالهما.[٣]

فالإنسان الكافر قد يكون عنده صفات جبلية حسنة، ويكون معدنه أصيلاً وطبعه كريماً؛ وقد أشار النبي إلى هذا المعنى في قوله "خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا"، [٤] يعني: أن أهل الجود، والكرم، والشجاعة، ونصر المظلوم، والإحسان في الجاهلية، إذا أسلموا تزيد هذه الصفات فيهم وتنمو، وتقوى؛ لأن معادنهم أصيلة، وطباعهم كريمة."[٥]

فالصفات الحسنة عند الكافر الذي معدنه أصيل قد تكون سببا في إسلامه؛ ومن ذلك إسلام الصحابي حكيم بن حزام لقد سأل رسول الله ﷺ عن أعمالهم التي عملوها في الجاهلية من خير أو شر، هل لهم أجر فيما عملوا من بر؟ وهل عليهم وزر فيما ارتكبوا من إثم؟، فقال: يا رسول الله أخبرني عن أعمال الخير التي كنت أتقرب بها في الجاهلية، من صدقة على المحتاجين، وعتق الرقاب وصلة الرحم. هل لي فيها من أجر بعد إسلامي؟ فقال رسول الله ﷺ: "لن تعدم خيرها وأجرها، فقد اكتسبت بها ثناء جميلا وذكرا حميدا، وطبعتك بطباع الخير التي تساعدك على البر في إسلامك وستزيد في ثواب ما تفعل من خير، ولعلها صاحبة الفضل في هدايتك للإسلام، ووصولك إلى الطريق المستقيم."[٦]

يقول محمد دراز: "فالمنحة السماوية في الهداية ليست إلا أجرا على موقف محسن أبداه هؤلاء الناس من قبل **{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}** [سورة الفتح/١٨] **{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}** [سورة الفتح/٤] هنالك نوع من المدد الإلهي الإيجابي للأنفس ذات الاستعداد الطيب، وزيادة في القوة تغنيها عن مزيد من الجهد في المقاومة، ضد الاتجاهات السيئة. ومع أننا نقرر مع القرآن أن هذه

---

[١] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج/١٠، ص/٣٢٢.

[٢] الشوكاني، **فتح القدير**، دار ابن كثير، ج/٣، ص/٣٠١.

[٣] القاسمي، **محاسن التأويل**، ج/٦، ص/٥٠٠.

[٤] أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم الحديث ٢٦٣٨.

[٥] لاشين، الأستاذ الدكتور موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، دار الشروق ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، ج/٧، ص/٤١٦.

[٦] لاشين، الأستاذ الدكتور موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، ج/ ١، ص/٤٠٥.

الأنفس باستعدادها الطيب للتقوى: **{وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا}** [سورة الفتح/٢٦] فإننا نسلم أنها استحقت ذلك فعلا: **{فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً}** [سورة الحجورات/٨].[١]

وقال تعالى: **{وَمَا أَدْرٰيكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ اَوْ اِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾اَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾اُولٰٓئِكَ اَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾}** [سورة البلد/ ١٢ إلى ١٨] فهذه الآيات تشير إلى ترتب الإيمان والهداية على الأعمال الصالحة والصفات الطيبة في الإنسان؛ حيث قال تعالى: ثم كان من الذين آمنوا بعد ذكره لتلك الأعمال والصفات الطيبة، فكأن الإيمان والهداية يترتبان على ذلك.

لكن هناك دائما شيء يأتي أولاً، من جانبنا ، فالإنسان لكي يتلقى النور ينبغي أن يطلبه، وأن ينشرح له، ينبغي أن يظهر حاجته إليه، وأن يمد اليه يديه، وأن يخطو خطوات نحوه، وأما الهداية الكاملة التي يحظى بها الأصفياء، فيقدمها الله على أنها ثمرة إنعام خالص، جاء بفضل الله مباشرة كما في قوله تعالى: **{أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ }** [سورة المجادلة/٢٢] وقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}** [سورة الفتح/ ٤] وقوله تعالى: **{وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ }** [سورة الحجرات/٧] لكن مع كل ذلك فالهداية ليست إلا أجرا على موقف محسن أبداه هؤلاء الناس كما سبق.[٢]

وقد وصف الرسول أهل اليمن بأنهم أهل إيمان، وأرق أفئدة، وذلك بسبب لين قلوبهم يكون سرعة خلوص الإيمان إلى قلوبهم وحسن قبولهم له. ويقال: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبَّتُه وسويداؤهُ وإذا رقَّ الغشاء أسرع نفوذ الشئ إلى ما وراءه.[٣] ثم لما وصفهم بذلك أتبعه ما هو كالنتيجة والغاية، فإن صفاء القلب ورقته ولين جوهره يؤدي به إلى عرفان الحق والتصديق به، وهو الإيمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه، وهو الحكمة، فتكون قلوبهم معادن الإيمان، وينابيع الحكمة.[٤]

---

[١] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص/٦٠٩ – ٦١٠.

[٢] المصدر السابق، ص/٦٠٧-٦٠٨.

[٣] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت ٣٨٨ هـ)، **أعلام الحديث** (شرح صحيح البخاري)، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ج/٣، ص/١٥٢١. أخره البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم الحديث:٤١٢٩.

[٤] البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ج/٣، ص/ ٥٧٩.

المطلب الرابع نماذج من الشخصيات في القرآن الكريم وأثر جبلتهم هدايتهم أو ضلالتهم

هناك بعض النماذج القرآنية تدل على تأثير الجبلة والطباع في قبول الهداية أو الضلالة، ومن ذلك بلقيس ملكة سبأ التي ذكرها القرآن وأشار إلى حسن عقلها وحسن تدبيرها، وصفاء طبيعتها؛ فقد تقبلت الهداية بسهولة وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وقد أشار القرآن إلى أنه كان المانع من إيمانها كونه من قوم كافرين، قال تعالى: { **"وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ"}** [سورة النمل/ ٤٣] {وَصَدَّها} هي عن دين الإسلام أنها من أولاد الكفار، نشأت على ذلك.[١] وصدها هي عن الإسلام أي منعها ما كانت تعبد من دون الله، وهو الشمس، أي: صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، ومتعلق الصد محذوف لدلالة الكلام عليه في قوله: وكنا مسلمين. وإسناد الصد إلى المعبود مجاز عقلي لأنه سبب صدها عن التوحيد كقوله تعالى: **{وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}** [سورة هود/١٠١] وقوله: **{غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ}** [سورة الأنفال/٤٩].[٢]

فهذا يعني أنها كانت مهيئة بطبعها لقبول الهداية إلا أن البيئة التي عاشت فيها كانت من العوامل التي منعتها من الإيمان. وقد قال الآلوسي بأنها آمنت قبل أن تأتي عند سليمان: **"**تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد، أي إنها كانت من قوم راسخين في الكفر، فلذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن حضرت بين يدي سليمان عليه السلام.**"** [٣]

وهناك نموذج آخر يبين أثر الطباع الفاسدة والصفات الجبلية المذمومة على الكفر والنفاق والشدة فيه، نموذج الأعراب البدويين فقد وصفهم الله تعالى بشدة كفرهم ونفاقهم، وهذا يرجع إلى طبيعتهم؛ قال تعالى **{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [سورة التوبة/٩٧]

فالأعرابي: هو البدوي، سواء كان من العرب أو من مواليهم، فمن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومن نزل البادية فهم أعراب. وقد أرجع الرازي سبب طباعهم الفاسدة، وسبب شدة كفرهم ونفاقهم إلى كونهم من **أهل البدو يشبهون الوحوش، واستيلاء الهواء الحار اليابس**

---

[١] السخاوي، **تفسير القرآن العظيم**، ج/٢، ص/١٦.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/١٩، ص/٢٧٤؛ البغوي، معالم التنزيل، ج/٦، ص/١٦٦؛ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج/٣، ص/٣٧٩؛

[٣] الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج/١٠، ص/٢٠٢.

عليهم، وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم، والفرق بين أهل الحضر والبادية كالفرق بين الفواكه الجبلية والفواكه البستانية.[1]

وقد وردت الإشارة إلى حب التطلع للمعرفة والبحث في قوله تعالى يحكي قول الجن الذين أسلموا: **{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا}** [سورة الجن/١٤] حيث يبين أن منهم المسلمون ومنهم الضالون الظالمون، وقد وصف الذين أسلموا بأنهم بحثوا عن طريق الهداية والرشد، وتطلعوا للمعرفة والبحث، ويشير بذلك إلى أن هذه الصفة الجبلية الحسنة الموجودة فيهم هداهم إلى طريق الحق، وكانت تلك الصفة سببا في هدايتهم.

[1] فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج/ ١٦، ص/١٢٥.

الخاتمة: وتتناول أبرز النتائج وأهم التوصيات

- الناس مختلفون في صفاتهم الجبلية الخاصة، وقد ورد في القرآن الكريم وجود الفروق الفردية في الصفات الجبلية عند الإنسان، إما صراحة أو إشارة، وقد عبر عن ذلك بكلمة الشاكلة.
- الإنسان فيه جانب الخير وجانب الشر، والقرآن ينظر إلى الإنسان من ناحيتين، لكن الله تعالى غلّب جانب الخير، والميل إلى الدين في الإنسان؛ وهو الفطرة.
- فالصفات الجبلية الخاصة في الإنسان تتكون وتتأثر بعدة عوامل منها الوراثة، والهوى، والعقل، والشيطان، والبيئة ويدخل فيها المجتمع، والأسرة، والصديق.
- الحكمة من تفاوت الناس في صفاتهم الجبلية الخاصة: اختلاف التنوع، والامتحان والابتلاء، والتكامل بين الخلق.
- إن الأنبياء من خيرة الناس طباعا، وجبلة، وقد جاء وصفهم في القرآن الكريم بصفات جبلية حسنة، وليسوا على صفات وطباع واحدة، وقد أُعطوا مسؤوليات حسب طباعهم، وصفاتهم الجبلية.
- إن اختلاف الناس في صفاتهم الجبلية الخاصة يؤدي إلى اختلاف قدرتهم على العمل والكسب، وهذا له تأثير على تكليفهم. فتكليف الإنسان تجاه صفاته الجبلية، لا يكون إلا في فعله أو قوله، فلا يكلف الإنسان بالنسبة لميول طباعه إن لم يتحول ذلك إلى أفعال أو أقوال، ولا يجازى الإنسان بمجرد وجود الصفات الجبلية فيه.
- الصفات الجبلية الخاصة لا يتغير أساسها، وإنما يطورها الإنسان وينميها أو يفسدها، والذي يتغير هو مدى تنمية الإنسان للقدرات الموجودة فيه. والناس متفاوتون في قبول الخلق، والمسارعة إلى تعلمها. ومن الصعب تغيير بعض الطباع فالقدر الذي لا يمكن تغييره لسنا مسؤولين عنه ولا مكلفين به.
- الصفات الجبلية التي خلقها الله في الإنسان جزء من القضاء والقدر تكون بعلم الله وخلقه، فالإنسان لا يملك إرادة في نشوء تلك الصفات، إلا أنه يمتلك إرادة في تطويرها وتنميتها، وتربيتها.
- فالصفات الجبلية الحسنة قد تكون سببا لهداية الإنسان؛ إذا حافظ عليها، وهناك بعض النماذج القرآنية تدل على تأثير الجبلة والطباع في قبول الهداية، وتأثير الطباع الفاسدة على الكفر والنفاق.

التوصيات

- إن القرآن الكريم يبين لنا صفات الإنسان، ويعرفنا بالنفس الإنسانية، فعلى الباحثين في العلوم الإسلامية أن يهتموا بمعرفة النفس الإنسانية، وأنماط الشخصيات، وسجايا الإنسان وطباعه، حتى يعرفوا مداواة النفوس المنحرفة، ويقدموا للناس مناهج تربوية من خلال المنظور القرآني.
- علم النفس من العلوم التي ينبغي أن يهتم بها المسلمون، وطلاب العلم الشرعي، والباحثون، ويطوروه ويقدموا منظورا إسلاميا وقرآنيا في علم النفس، ولا يتركوا هذا المجال لغير المسلمين، ولأفكار ومناهج غير إسلامية، فإنها تؤثر على عقول وقلوب جيل المسلمين.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

٢- أحمد ابن حنبل، أبو عبد الله بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٣- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م.

٤- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٦- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٣١.

٧- البوطي، محمد سيد رمضان، كبرى اليقنيات الكونية، دار الفكر -دمشق، ط٣٨، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

٨- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٤١٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٠- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، العقيدة الواسطية، أضواء السلف – الرياض، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١١- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ.

١٢- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٣- ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ١٤١٦ ه، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.
١٤- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٥- حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم- دمشق، ط١٤، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
١٦- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار الفلق – الرياض، ١٤٢٤ هـ.
١٧- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، ١٤١٩هـ.
١٨- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
١٩- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، الأخلاق والسير، دار ابن حزم، بدون تاريخ.
٢٠- أبوالحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر)، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م.
٢١- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ١٤٢٠ هـ، دار الفكر – بيروت.
٢٢- حيدر، فؤاد، الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، دار الفكر العربي، ١٩٩٠ م.
٢٣- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار اليعرب، ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م.
٢٤- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٥- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥)، سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود، المطبعة الأنصارية بدهلي- الهند، ١٣٢٣ هـ.

٢٦- دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة- دار البحث العامية، ٢٠٠٥-م.
٢٧- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين.
٢٨- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت١٤١٢هـ.
٢٩- الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، الذريعة إلى المكارم الشريعة، بيرت- لبنان، ١٣٠٠ ه، ١٩٨٠م.
٣٠- الرسلان، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن المقدسي الرملي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ)، شرح سنن أبي داود، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط/١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م.
٣١- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر – دمشق،١٤٢٢ هـ ج/٣، ص/٢٠٢٦.
٣٢- الزحيلي، وهبة، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٢١.
٣٣- الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان).
٣٤- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت١٤٠٧ هـ.
٣٥- زهرة، أبو محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
٣٦- السبيعي، علي بن مثيب بن دغيم، مجلة التربية، الطبيعة الإنسانية في القرآن، جامعة الأزهر.
٣٧- السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين المصري الشافعي (ت ٦٤٣ هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار النشر للجامعات، ط/١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
٣٨- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٣٩- السعود، أبو العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٠- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، جامع الأحاديث.

٤١- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الشريعة، ١٤٢٧ ه-٢٠٠٦م، دار الحديث، القاهرة.
٤٢- شاه ولي أللہ الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، حجة الله البالغة،١٤٤١ ه-٢٠٢٠ م، دار ابن كثير.
٤٣- شمس، محمود سعد عبدالحميد، الطبيعة الإنسانية وضوابطها في ضوء القرآن الكريم: جانبا العقل والأخلاق أنموذجاً، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ٢٠١٤ -م.
٤٤- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت).
٤٥- شهاب الدين القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، (ت ٩٢٣هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط/٧، ١٣٢٣ هـ.
٤٦- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٤٧- صحيح البخاري.
٤٨- صحيح المسلم.
٤٩- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، مكتبة دار السلام، الرياض، ط،١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
٥٠- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ)، المعجم الأوسط، دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٥١- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط/٢.
٥٢- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة.
٥٣- الطحاوي، أبي جعفر (ت ٣٢١ هـ)، العقيدة الطحاوية، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط،٢، ١٤١٤ هـ.
٥٤- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، ١٩٨٤ هـ، الدار التونسية للنشر – تونس.

٥٥- ابن عبد السلام، عزالدين عبد العزيز، القواعد الكبرى، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٦ م.
٥٦- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢)، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة دار ابن القيّم للنشر والتوزيع، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٥٧- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي،١٤١٢هـ.
٥٨- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٤٤٢ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٩- عمر بن عبد الله كامل، آداب الحوار وقواعد الاختلاف، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
٦٠- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤ هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
٦١- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت.
٦٢- الغزالي، محمد، خلق المسلم، ١٤٠٨ه- ١٩٨٧ م، دار الريان للتراث، القاهرة.
٦٣- ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦٤- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ١٤٢٠ ه- دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦٥- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال.
٦٦- فؤاد، محمد ضائر، الشاكلة الشخصية وأثرها في الاجتهادات الشرعية، مجلة البحث العامي الإسلامي، مركز البحث العامي الإسلامي، ٢٠٢١.
٦٧- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٦٨- الفيومي، أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر القاهري (٨٠٤ - ٨٧٠ هـ)، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م.

٦٩- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت ١٣٣٢ هـ)، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨هـ.

٧٠- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، غريب القرآن، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م.

٧١- ابن قدامة، الأمام أحمد بن محمدبن عبد الرحمان بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، دار الإحياء العلوم بيروت.

٧٢- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٧٣- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، دار الكتب المصرية – القاهرة.

٧٤- قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ١٤١٤ ه- ١٩٩٣ م، دار الشروق.

٧٥- قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ١٤١٤ ه- ١٩٩٣ م، دار الشروق.

٧٦- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت ١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٧٧- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (٦٩١ - ٧٥١)، كتاب الروح، دار العالم الفوائد.

٧٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٧٩- كوكب بنت عبد الله بن راشد الشعيلي، سليمان بن علي بن عامر، الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٦م.

٨٠- لاشين، الأستاذ الدكتور موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٨١- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية.

٨٢- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٨٣- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير (ت ٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة.
٨٤- المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (ت ١٤١٤هـ)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط/٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.
٨٥- محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٤٣١.
٨٦- محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين، إيجاز البيان عن معاني القرآن، - ١٤١٥ هـ، دار الغرب الإسلامي – بيروت.
٨٧- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
٨٨- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ)، تهذيب الأخلاق، مكتبة الثقافة الدينية، ط،١.
٨٩- الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.
٩٠- الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦ هـ)، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
٩١- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١هـ) التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩٢- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، - ١٤١٤هـ.
٩٣- النابلسي، محمد راتب، المقومات التكلف.
٩٤- نجاتي، دكتور محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١.

٩٥- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٩٦- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٣٩٢.

٩٧- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٩٨- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٩- الهَرَري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الشافعي، الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

١٠٠- هوكلكلي، حياتي، مادة الفطرة، موسوعة رئاسة الشؤون الدينية التركية.

١٠١- أبو يعلى، الإمام الحافظ أحمد بن على بن المثنى التميمي (٢١٠ - ٣٠٧ هـ)، مسند أبي يعلى الموصلي، دار الحديث – القاهرة، لطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠١٣ م.

المراجع باللغة التركية

102- ELMALILI, HAMDİ YAZIR, HAK DİNİ KUR'ÂN DİLİ, ÇELİK&ŞURA YAYINLARI, İSTANBUL, 1993.

103- MUAMMER CENGİL, (YÜKSEK LİSANS TEZİ) KUR'AN-I KERİM'DEKİ NEFS KAVRAMINA PSİKOLOJİK AÇIDAN BİR YAKLAŞIM جنكيل، معمر، (تحليل مصطلح النفس في القرآن الكريم من منظور علم النفس) ،رسالة مجستير، ص/١٦.

104- NEVZAT TARHAN, DUYGULARIN PSİKOLOJİSİ VE DUYGUSAL ZEKâ, TİMAŞ YAYINLARI, 2021.

105- تارهان، نوزات، سيكولوجية العواطف والذكاء العاطفي، دار تماش.

106- PİŞGİN, YASİN, KUR'ÂN'DA KARAKTER İNŞASI, TİMAŞ YAYINLARI, İSTANBUL 2022. بيشكين ياسين، إنشاء الخلق في القرآن، دار تيماش، إستانبول، ٢٠٢٢

107- SAYAR, KEMAL, RUH HALİ, TİMAŞ YAYINLARI, İSTANBUL, 2022. سايار، كمال، الحالة الروحية، دار تيماش، إستانبول، ٢٠٢٢،

108- Şentürk, Habil, Din Pisikolojisi, İstanbul: Esra yayınevi,1997.

109- TARHAN, NEVZAT, DEĞERLER PSİKOLOJİSİ, TİMAŞ YAYINLARI, İSTANBUL, 2019 تارهان، نوزات، وسيكولوجية القيم والإنسان، دار تيماش، إستانبول، ٢٠١٩،.